الاتجاه الليبرالي في المملكة العربية السعودية (دراسة نقدية) في مقرر: مذاهب فكرية معاصرة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ،، أما بعد.

فهذه الأمة معرضة للأخطار والتهديدات والتحديات منذ بزوغ فجر الإسلام الأول وحتى تقوم الساعة وذلك من باب حتمية الصراع بين الحق والباطل والخير والشر الذي هو من سنن هذا الكون ونواميسه التي خلقه الله تعالى عليها ولكن الغلبة والتمكين بإذن الله لهذا الدين والنصر لأمة الإسلام والدعوة الإسلامية بصفتها تطبيق لهذا الدين نالها ما نالها من التحديات والمخاطر التي تريد صدها عن مسيرتها والوقوف ضد استمراريتها ولكنها باقية ما بقي هذا الدين الذي سيبقى إلى أن تقوم الساعة.

ومن المذاهب الخطيرة والدخيلة على الأمة الإسلامية هو مذهب الليبرالية الرأسمالية التي تعتبر أحد مخلفات الاستعمار الغربي في البلدان العربية والإسلامية، وقد تسرب الفكر الليبرالي إلى المملكة العربية السعودية واجتهد منظروه ومفكروه في فرض رؤيتهم الفكرية في المجتمع السعودي مع وجود ممانعة ومقاومة اجتماعية كبيرة من كافة أطياف المجتمع، وأصبح في الآونة الأخيرة يأخذ طابع الجرأة والوضوح أكثر من ذي قبل.

ولهذا كان من الضروري دراسة الفكر الليبرالي ومعرفة حقيقته وأبعاده عموماً ومدى تسربه إلى المملكة العربية السعودية لمعرفة كيفية التعامل معه وإدارة المعركة معه بنجاح، فكانت هذه الدراسة المختصرة التي تؤدي جزءا من المطلوب وستكون على النحو التالي:

الفصل الأول: إجراءات الدراسة ويشتمل على المحاور التالية:

- ❖ أهمية الدراسة.
- ❖ أهداف الدراسة.
- ❖ تساؤلات الدراسة.
- ❖ منهج الدراسة.

الفصل الثاني: مدخل إلى الفكر الليبرالي، ويشتمل على المطالب التالية:

- ❖ المطلب الأول: مفهوم الليبرالية
- ❖ المطلب الثاني: نشأة وتطور الليبرالية في العالم الغربي.
- ❖ المطلب الثالث: المبادئ الأساسية للفكر الليبرالي.
- ❖ المطلب الرابع: الأسس الفكرية والمنهجية لليبرالية.
- ❖ المطلب الخامس: المجالات الأساسية للفكر الليبرالي.

الفصل الثالث: انتقال الفكر الليبرالي إلى المملكة العربية السعودية، ويشتمل على المطالب التالية:

- ❖ المطلب الأول: نشأة وتطور الفكر الليبرالي في المملكة العربية السعودية.
- ❖ المطلب الثاني: أسباب ظهور الفكر الليبرالي في المملكة العربية السعودية.
- ❖ المطلب الثالث: مظاهر ومقومات الفكر الليبرالي في المملكة العربية السعودية.

الفصل الرابع: الليبرالية في ميزان الإسلام، ويشتمل على المطالب التالية:

- ❖ المطلب الأول: الفرق بين الحرية في التصور الإسلامي والحرية في الفلسفة الليبرالية.
- ❖ المطلب الثاني: أنواع الحريات في التصور الإسلامي.
- ❖ المطلب الثالث: تحليل نقدي لواقع الفكر الليبرالي في المملكة العربية السعودية.
- ❖ المطلب الرابع: الحكم الشرعي لليبرالية في الإسلام

الفصل الأول: إجراءات الدراسة

أولاً: أهمية الدراسة.

ثانياً: تساؤلات الدراسة.

ثالثاً: أهداف الدراسة.

رابعاً: منهج الدراسة.

❁أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من شدة الخطر المحدق من الليبرالية التي نالت الإسلام بشرها في زمن العولمة والانفتاح الفكري والثقافي والتقدم التقني ووسائل الاتصال المتسارعة فكان من الضروري قيام أبناء هذا الدين وتلاميذ هذه الرسالة وأتباع هذه التربية أن يجلُّوا لإخوانهم مخاطر ومزالق هذا الفكر، والتي إن غفلوا عنها أصابهم منها الأذى العظيم وهددت هوية هذه الأمة، ومن ثم جاءت هذه الدراسة لتميط اللثام عن ذلك التيار وتبين الواقع وتربط بين الأسباب والمسببات والمقدمات والنتائج في أسلوب علمي وطريقة منهجية لتقدم للقارئ المهتم أساليب عملية للخروج من الأزمة والوقوف ضد هذا المد من التيار المتدفق للحماية بإذن الله من هذه مخاطره ومهالكه.

❁ أسئلة الدراسة:

السؤال الرئيس:

ما معالم الاتجاه الليبرالي في المملكة العربية السعودية ؟

الأسئلة الفرعية:

١. ما التصور الفكري العام لليبرالية ؟
٢. كيف تأثر مجتمع المملكة العربية السعودية بتيار الفكر الليبرالي ؟
٣. ما هو حكم الليبرالية في شريعة الإسلام ؟

❁ أهداف الدراسة:

١. بيان حقيقة الليبرالية في العالم الغربي.

٢. بيان كيفية تأثر المملكة العربية السعودية بالفكر الليبرالي.

٣. بيان حكم الليبرالية في الإسلام.

❁ منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وهو كما عرفه أهل الفن: بأنه دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً ويعبر عنها تعبيراً كيفياً أو كمياً والتعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة ويوضح خصائصها والتعبير الكمي يعطينا وصفاً رقمياً يوضح مقدار الظاهرة أو حجمها [عبيدات، ١٤٢٤هـ، ص٢٤٧].

الفصل الثاني: مدخل إلى التصور العام للفكر الليبرالي، ويشتمل على المطالب التالية:

- **المطلب الأول: مفهوم الليبرالية.**
- **المطلب الثاني: نشأة وتطور الليبرالية في العالم الغربي.**
- **المطلب الثالث: المبادئ الأساسية للمذهب الليبرالي.**
- **المطلب الرابع: الأسس الفكرية والمنهجية للفكر الليبرالي.**
- **المطلب الخامس: المجالات الأساسية للمذهب الليبرالي.**

📖 مدخل إلى التصور العام للفكر اللبرالي

المطلب الأول: مفهوم الليبرالية:

إن قضية الليبرالية قضية متغيرة ومتجددة ولها أبعاد مختلفة بحكم الزمان والمكان وتغير الأجيال والثقافات والفلسفات والتوجهات الفكرية، لذا من الصعوبة بمكان وضع مفهوم محدد لليبرالية " يقول الأستاذ وضاح نصر: تبدو بلورة تعريف واضح ودقيق لمفهوم الليبرالية أمراً صعباً وربما عديم الجدوى. وفي حال تحديد الليبرالية نجد أن هذا التحديد لا ينطبق على عدد من الفلاسفة والمفكرين الذين اتسموا بسمة الليبرالية " [السلمي، ١٤٢٧ هـ، ص ٤].

"فالليبرالية مصطلح مشتق من الكلمة اللاتينية (Libir) أي حر " [الرميزان، ١٤٣٠ هـ، ص ١٥].

"الليبرالية مصطلح أجنبي معرّب مأخوذ من (Liberalism) في الانجليزية، و (Liberalisme) في الفرنسية، وهي تعني ((التحررية))، ويعود اشتقاقها إلى (Liberty) في الانجليزية (Liberte) في الفرنسية، ومعناها الحرية " [الخراشي، ١٤٢٧ هـ، ص ١٢].

ويؤكد عبد الله العروي أن " الليبرالية تعتبر الحرية المبدأ والمنتهى، الباعث والهدف، الأصل والنتيجة في حياة الإنسان، وهي المنظومة الفكرية التي لا تطمع في شيء سوى وصف النشاط البشري الحر، وشرح أوجهه والتعليق عليه "[العروي، ١٩٨٨ م، ص ٣٩].

"ويعرفها سيار الجميل تعريفاً مختزلاً بأنها مذهب فكري وسياسي ينادي بالحرية المطلقة في الميدان الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، والتركيز على مبدأ (الاستقلالية) للأفراد والمجتمعات والدول، ومعناه الحقيقي:

التحرر التام من كل أنواع الإكراه الخارجي والداخلي، سواء أكان دولةً أم جماعةً أم فرداً، ويتم التصرف وفق ما يمليه قانون النفس ورغباتها، ولكل فرد الحق والحرية في اختيار أسلوب الحياة الذي يناسبه، والعمل على تكريس الحريات ضمن عقد اجتماعي تتفق عليه الأغلبية بكل صورها المادية والمعنوية بين الدولة والمجتمع " [الرميزان، ١٤٣٠ هـ، ص ١٦].

"مصطلح الليبرالية مذهب ينادي بالحرية الكاملة، وفي ميادين الحياة المختلفة، لا تقيدها أحكام الدين. والليبرالية كغيرها من المذاهب السياسية والاجتماعية تعدّ نمطاً فكرياً عاماً، ومنظومة متشابكة من المعتقدات والقيم، تشكلت عبر قرون عدة، منذ القرن السابع عشر " [ربيع، ١٩٩٤ م، ص ٣٩٩/٤٠٠].

مما سبق يتضح أن مصطلح الليبرالية يهدف إلى السعي إلى الحرية الفردية الشخصية، ووجوب احترام استقلال الشخصية الإنسانية، ووضع القيود على السلطة والتقليل والحد من أدوارها التي تحمي المصالح العامة للإنسان والسعي إلى توسيع الحريات المدنية والمشاركة الشعبية والمجتمعية في اتخاذ من القرارات.

لذا فإن الليبرالية قضية خطيرة ذو حدين (إيجابي وسلبي) ويكمن خطرها وشرها إذا أدخلت هذه الحريات في أمور العقائد والثوابت الدينية الإسلامية التي قننتها وحددتها الشريعة الإسلامية.

والليبرالية قضية متغيرة الأبعاد والتصورات وكل يفهمها من زاوية مختلفة عن الآخر، فالليبرالية حديثاً ليست كالليبرالية قديماً فقد تكون في يوم ما تياراً وقد تكون مذهباً وقد تكون فكراً ويمكن القول بأنها فلسفة.

المطلب الثاني: نشأة وتطور الليبرالية في العالم الغربي:

" نشأة الليبرالية وتطورها:

نشأت الليبرالية في التغيرات الاجتماعية التي عصفت بأوربا منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي، وطبيعة التغير الاجتماعي والفكري يأتي بشكل متدرج بطيء.

وهي لم " تتبلور كنظرية في السياسة والاقتصاد والاجتماع على يد مفكر واحد، بل أسهم عدة مفكرين في إعطائها شكلها الأساسي وطابعها المميز.

فالليبرالية ليست اللوكية (نسبة إلى جون لوك ١٦٣٢ – ١٧٠٤)، أو الروسووية (نسبة إلى جان جاك روسو ١٧١٢–١٧٧٨) أو الملّية (نسبة إلى جون ستوارت ملْ ١٨٠٦–١٨٧٣)، وإن كان كل واحد من هؤلاء أسهم إسهاماً بارزاً أو فعالاً في إعطائها كثيراً من ملامحها وخصائصها.

وقد حاول البعض تحديد بداية لبعض مجالاتها ففي موسوعة لا لاند الفلسفية "الليبرالي (أول استعمال للفظة) هو الحزب الأسباني الذي أراد نحو ١٨١٠م أن يدخل في أسبانيا من الطراز الإنكليزي.)

ويذكر الأستاذ وضاح نصر: أن الليبرالية في الفكر السياسي الغربي الحديث نشأت وتطورت في القرن السابع عشر، وذلك على الرغم من أن لفظتي ليبرالي وليبرالية لم تكونا متداولتين قبل القرن التاسع عشر.

قال منير البعلبكي: الليبرالية (liberalism) فلسفة سياسية ظهرت في أوربا في أوائل القرن التاسع، ثم اتخذت منذ ذلك الحين أشكالاً مختلفة في أزمنة وأماكن مختلفة.

والظاهر من تاريخ الليبرالية أنها كانت رد فعل لتسلط الكنيسة والإقطاع في العصور الوسطي بأوربا، مما أدى إلى انتفاضة الشعوب، وثورة الجماهير، وبخاصة الطبقة الوسطي.والمناداة بالحرية والإخاء والمساواة، وقد ظهر ذلك في الثورة الفرنسية. وقد تبين فيما بعد أن هناك قوى شيطانية خفية حولت أهداف الثورة وغايتها.

وبهذا يتضح لنا أن الليبرالية في صورتها المعاصرة نشأت مع النهضة الأوربية ثم تطورت في عصور مختلفة إلى يومنا هذا.

ويرد بعض الباحثين جذور الليبرالية إلى ديمقراطيّ أثينا في القرن الخامس قبل المسيح، والرواقين في المراحل الأولى من المسيحية، ثم حركة الإصلاح البروتستانتية.

وقد ذكر البعلبكي أن في حركة الإصلاح الديني توجهاً ليبرالياً فقال: كما يطلق لفظ الليبرالية كذلك على حركة في البروتستانتية المعاصرة تؤكد على الحرية العقلية.

يقول الدكتور علي بن عبد الرزاق الزبيدي: ومن الصعب تحديد تاريخ معين لنشأة الليبرالية فجذورها تمتد عميقة في التاريخ، ويعتبر جون لوك من أوائل الفلاسفة الليبراليين وفلسفته تتعلق بالليبرالية السياسية.

تطور الليبرالية:

أخذت الليبرالية أطواراً متعددة بحسب الزمان والمكان وتغيرت مفاهيمها في أطوارها المختلفة، وهي تتفق في كل أطوارها على التأكيد على الحرية وإعطاء الفرد حريته وعدم التدخل فيها.

ويمكن أن نشير إلى طورين مهمين فيها:

أولاً: الليبرالية الكلاسيكية:

يعتبر جوك لوك (١٧٠٤م) أبرز فلاسفة الليبرالية الكلاسيكية، ونظريته تتعلق بالليبرالية السياسية، وتنطلق نظريته من فكرة العقد الاجتماعي في تصوره لوجود الدولة، وهذا في حد ذاته هدم لنظرية الحق الإلهي التي تتزعمها الكنيسة.

وقد تميز لوك عن غيره من فلاسفة العقد الاجتماعي بأن السلطة أو الحكومة مقيدة بقبول الأفراد لها ولذلك يمكن بسحب السلطة الثقة فيها.

وهذه الليبرالية الإنكليزية هي التي شاعت في البلاد العربية أثناء عملية النقل الأعمى لما عند الأوربيين باسم الحضارة ومسايرة الركب في جيل النهضة كما يحلو لهم تسميته.

يقول القرضاوي: وهي التي يمكن أن يحددها بعضهم بـــ" ليبرالية ألوكز" وهي التي أوضحها جوك لوك وطورها الاقتصاديون الكلاسيكيون، وهي ليبرالية ترتكز على مفهوم التحرر من تدخل الدولة في تصرفات الأفراد،سواء كان هذا في السلوك الشخصي للفرد أم في حقوقه الطبيعية أم في نشاطه الاقتصادي آخذاً بمبدأ دعه يعمل.

وقد أبرز آدم سميث (١٧٩٠م) الليبرالية الاقتصادية وهي الحرية المطلقة في المال دون تقييد أو تدخل من الدولة.

وقد تكونت الديمقراطية والرأسماليّة من خلال هذه الليبرالية، فهي روح المذهبين وأساس تكوينها، وهي مستوحاة من شعار الثورة الفرنسية " دعه يعمل " وهذه في الحرية الاقتصادية " دعه يمر " في الحرية السياسية. وسيأتي التفصيل في مجالات الليبرالية.

ثانياً: الليبرالية المعاصرة:

تعرضت الليبرالية في القرن العشرين لتغيّر ذي دلالة في توكيداتها. فمنذ أواخر القرن التاسع عشر، بدأ العديد من الليبراليين يفكرون في شروط حرية انتهاز الفرص أكثر من التفكير في شروط من هذا القيد أو ذاك. وانتهوا إلى أن دور الحكومة ضروري على الأقل من أجل توفير الشروط التي يمكن فيها للأفراد أن يحققوا قدراتهم بوصفهم بشراً.

ويحبذ الليبراليون اليوم التنظيم النشط من قبل الحكومة للاقتصاد من أجل صالح المنفعة العامة. وفي الواقع، فإنهم يؤيدون برامج الحكومة لتوفير ضمان اقتصادي، وللتخفف من معاناة الإنسان.

وهذه البرامج تتضمن: التأمين ضد البطالة، قوانين الحد الأدنى من الأجور، ومعاشات كبار السن، والتأمين الصحي.

ويؤمن الليبراليون المعاصرون بإعطاء الأهمية الأولى لحرية الفرد، غير أنهم يتمسكون بأن على الحكومة أن تزيل بشكل فعال العقبات التي تواجه التمتع بتلك الحرية.

واليوم يطلق على أولئك الذي يؤيدون الأفكار الليبرالية القديمة: المحافظون.

ونلاحظ أن أبرز نقطة في التمايز بين الطورين السابقين هو في مدى تدخل الدولة في تنظيم الحريات، ففي الليبرالية الكلاسيكية لا تتدخل الدولة في الحريات بل الواجب عليها حمايتها ليحقق الفرد حريته الخاصة بالطريقة التي يريد دون وصاية عليه، أما في الليبرالية المعاصرة فقد تغير ذلك وطلبوا تدخل الدولة لتنظيم الحريات وإزالة العقبات التي تكون سبباً في عدم التمتع بتلك الحريات، وكذا تخفيف معاناة الإنسان والمحافظة على المنفعة العامة.

وهذه نقطة جوهرية تؤكد لنا أن الليبرالية اختلفت من عصر إلى عصر، ومن فيلسوف إلى آخر، ومن بلدٍ إلى بلدٍ، وهذا يجعل مفهومها غامضاً كما تقدم.

وقد تعرف الليبرالية تطورات أخرى في المستقبل، ولعل أبرز ما يتوقع في الليبرالية هو التطور نحو العولمة التي هي طور ليبرالي خطير " [السلمي، ١٤٢٧ هـ، ص ١٢ – ١٥].

<u>المطلب الثالث: المبادئ الأساسية للفلسفة الليبرالية:</u>

١. مبدأ الحرية:

الحرية هي الجوهر الذي تبنى عليه الفلسفة الليبرالية في جميع مجالاتها واتجاهاتها وهي الحلقة التي تجمعهم كما يقول غبريال " الليبراليون الجدد تلك الجماعة من المفكرين الذين لا يجمعهم غير عشق الحرية، ويقول سيار الجميل: والليبراليون العرب الجدد.. . سلاحهم الوحيد قواسمهم المشتركة في حريتهم وأفكارهم وانفتاحهم وآرائهم المتنوعة ومشروعاتهم التي من مقوماتها الاختلاف السياسي والحرية " [القايدي، ١٤٣٣ هـ، ص ٤٥]، ويقول شاكر النابلسي: " إن أفضل ما يلخص به الفكر الليبرالي العربي الجديد هو أنه فكر في مجمله يقوم بإحياء قيم الحرية العربية لدى الإنسان " [النابلسي، ٢٠٠٧ م، ص ١٩]، ويقول أيضاً: " الليبراليون العرب الجدد تجمعهم رغم كل هذا قواسم مشتركة، أهمها أن حرية الفكر مطلقة، وحرية التدين مطلقة " [النابلسي، ٢٠٠٥ م، ص ١٥]، ويمكن تعريف الحرية كما يلي:

" يحاول طوكفيل – أحد أقطاب الليبرالية في القرن التاسع عشر – أن يحدد معنى الحرية فيقول: إن معنى الحرية الصحيح هو أن كل إنسان نفترض فيه أنه خلق عاقلاً يستطيع حسن التصرف، يملك حقاً لا يقبل التفويت في أن يعيش مستقلاً عن الآخرين في كل ما يتعلق بذاته وأن ينظم كما يشاء حياته الشخصية، ونظراً لكون الحرية مفهوماً عاماً يوصل إلى التعارض والتنازع بين الحريات المتناقضة فإن هيمون يتمنى أن توضع الليبرالية في مقابل النظرية الانفلاتية، وهذا تغيير لمفهوم الحرية (الانفلات)"وعندئذ يمكن أن تكون الأولى (الليبرالية)معتبرة بوصفها النظرية الأخلاقية والسياسية التي تتوق إلى حرية الفرد أيما توق، وتحدّ في الوقت نفسه من المطالبة أو الحصول على هذه الحريات عندما تغدو إباحيات مضرة بالآخر (بمعنى إعلان الحقوق) في المقابل يمكن للنظرية الانفلاتية أن تكون صورة للفردية التي لا تعترف بأي حد مألوف وقانوني للحرية الفردية فهي وحدها الحكم على حقوق الفرد وفقاً لقوته" [السلمي، ١٤٢٧ هـ، ص ٧].

فالإنسان عند الليبراليين حرٌ في أفعاله، مستقل في شخصيته وفي جميع تصرفاته، ولا حق لأحد سواء كانوا أفراداً أم جماعات أم سلطة أم دولة التدخل في الشؤون الخاصة للفرد، بل يتحتم على الدولة حماية الحريات وحقوق الإنسان وتعزيزها، وحفظ الأفراد من الظلم والتعسف المجتمعي.

"وهذه الحرية المدنية هي التي اعتنى بها الفكر الليبرالي باعتبارها موضوعاً سياسياً يتعلق بالعلاقة بين الفرد والدولة، وعلاقة الفرد بالآخرين، والحرية بهذا الاعتبار ذات طابع عملي واقعي.

والحرية المدنية في الفكر الليبرالي مقيّدة بالقانون، لأن القانون ضرورة من ضرورات الاجتماع البشري، فالإنسان كائن اجتماعي بفطرته، وقيام المجتمع وتنظيم روابطه مقرون بوجود القانون، ولكن صورة القانون تختلف من منهج لآخر ضمن الفكر

الليبرالي، وبهذا نعلم أن القوانين لا تمثل عند الليبراليين إكراهاً واستبداداً مفروضاً من خارج الفرد تقيّد حريته التي هي حق فطري للإنسان، فالقانون مقبول من حيث المبدأ لدى الليبراليين، ولكنهم يختلفون في آحاد القوانين ومنهجيّة تشريعها من حيث تحقيق الحرية أو كبتها "[الخراشي، ١٤٢٧ هـ، ص ٢١].

وتتنوع الحريات عند الليبراليين تبعاً للتقسيم التالي:

أ- حرية المعتقد والإلحاد: فالإنسان عند الليبراليين حر في اعتناق ما يشاء من الأديان، وله الحرية بأن يعيش ملحداً بلا دين، يقول العفيف الأخضر: ": حرية الدين، أي اختيار المؤمن لأي دين يشاء وحرية الضمير أي: حرية الإنسان في عدم اعتناق أي دين بلا عواقب على حريته أو على حياته " [الأخضر، ٢٠١١ م، مقال].

ب- حرية الفكر والرأي: فالإنسان عندهم له الحرية المطلقة فيما يفكر فيه وحر في التعبير عن رأيه بلا حدود ولا قيود، يقول النابلسي: " حرية الفكر والإبداع تحتاج نظاماً قوياً لا يخشى الكلمة، ولا يقيد الحريات في التعبير " [النابلسي، ٢٠١١ م، مقال]، ويتحدث النابلسي عن إيجابيات المؤتمر الثالث للفكر العربي: " شقّ طريقاً لحرية الفكر ونزاهة الحوار وشفافية الجدل، وألغى ما يطلق عليه بالخطوط الحمراء والصفراء والخضراء وغيرها من الخطوط، ودعا المثقفين إلى القفز على هذه الخطوط " [النابلسي، ٢٠٠٤ م، مقال]، بل إن حرية الفكر عندهم هي رفض للتراث وعدم القبول به يقول النابلسي في معرض حديثه عن هوية الليبراليين الجدد: " تحرير النفس العربية من ماضيها، ومن حكم الأسلاف الذين مازالوا يحكمونا من قبورهم " [النابلسي، ٢٠٠٥ م، ص ٢٤].

ج- الحرية السياسية: وهو ما ينادون به في المشاهد السياسية بمسمى (الديمقراطية) أي الحرية السياسية والمقصود بها: السلطة للشعب، ولأفراد الأمة الحق في التشريع وتكوين الأحزاب السياسية والأحزاب المعارضة، وأن السلطة متداولة وليست محصورة على أحد، " النظام الديمقراطي الليبرالي يقوم على فكرة دولة القانون استناداً لمفهوم الحرية الليبرالي، كذلك لا يتجاهل مفهوم الجمهورية (للحرية)، ولذلك فإنه من الضروري أ يشارك الشعب في وضع القوانين وتنفيذها، وهكذا فإن المشاركة السياسية تعتبر جوهر النظام الليبرالي الديمقراطي " [الببلاوي، ٢٠٠٦ م، ص ٥٤].، يقول النابلسي: " الليبرالية السياسية تتمثل أكثر ما تتمثل بالديمقراطية " [النابلسي، ٢٠١٠م، ص١١]، وقيل أيضاً: " جوهر الديمقراطية الحرية والمساواة " [سلامة، ٢٠٠٤ م، مقال]، وينقل عن خالد محمد خالد عند

حديثه عن الحرية: " إن الحركات السياسية: الأحزاب والنقابات ومجالس الأمة وغيرها، خطوة في طريق الحرية، ويقول أيضاً: إن حرية التكتل في أحزاب سياسية أساس من أسس الحرية السياسية الحديثة، ولا وجود لها من دونها " [النابلسي، ٢٠٠١م، ١٦٨/١].

وفي المقابل يدعون بأن الحرية السياسية تستلزم محاربة الأنظمة القمعية والاستبدادية " ولهذا يقف الفكر الليبرالي العربي الجديد ضد الحكم المطلق، وضد الاستبداد وضد الخنوع للدولة واستعبادها " [النابلسي، ٢٠٠٧ م، ص١٩].

د-الحرية الاجتماعية: ويقصد به تحرير المجتمع وقضاياه من القيود المجتمعية، وتأخذ مجالات متعددة مثل: تحرير المرأة، وتحرير التعليم.. ...

٢. مبدأ الفردية:

تعني الفردية في المجمل العام حب الفرد لاستقلاله بالعمل والفكر وحبه لذاته والسعي لتحقيق أهدافه الشخصية بكل أنانية حتى ولو كان على حساب الغير.

"الفردية هي السمة الأساسيّة الأولى لعصر النهضة، فهاهو عصر النهضة يأتي كرد فعل لفكر القرون الوسطى، ويتحرر الفرد من الانضباط الكاثوليكي الطويل " [سباين، ١٩٧١ م، ٣٥٨/١].

" وقد ارتبطت الحرية بالفردية ارتباطاً وثيقاً، فأصبحت الفردية تعني استقلال الفرد وحريته، فأصبحت الفردية تعني استقلال الفرد وحريته، وفي ذلك يقول جون ديوي: كانت فكرة الحرية مرتبطة في تقاليد مذهب الأحرار – عند كل من الأمريكيين والإنجليز – بفكرة الفردية، أي: بالفرد نفسه من حيث هو فرد، وكان هذا الارتباط وثيقاً وكثير الورود على الألسنة، حتى خاله الناس أمراً ذاتياً أصلياً " [ديوي، د.ت، ص ٣٣].

٣. مبدأ العقلانية:

" وتعني العقلانية: استقلال العقل البشري بإدراك المصالح والمنافع دون الحاجة إلى قوى خارجية، وقد تم استقلاله نتيجة تحريره من الاعتماد على السلطة اللاهوتية الطاغية " [السلمي،، ص ١٥٣].

" العقلانية تعد الأساس الثاني لليبرالية، والعقلانية حسب الرؤية الليبرالية لا يمكن تحققها إلا بالاستغناء عن كل مصدر للوصول إلى الحقيقة ماعدا العقل الإنساني، فلا يمكن فهم العالم ومشكلاته وتعقيداته وتطور الحياة الإنسانية إلا بإخضاع كل شيء لحكم العقل لإثباته أو نفيه، أو معرفة خصائصه أو معرفة ضرره أو منفعته، حتى يصل

الإنسان إلى قناعات معينة من خلال التجربة، لمعرفة الضار والنافع أو السلبيات والإيجابيات "[الرميزان، ١٤٣٠ هـ، ص ٥٧].

فالتركيز على العقل كمصدر وحيد للمعرفة، وتحييد بقية المصادر الأخرى وتهميشها يجعل الإنسان في منزلق خطير.

٤. مبدأ النفعيّة:

تجعل الليبرالية من المنفعة الفردية مقياساً للسلوك، وتهتم وتراعي مصالح الآخرين وتوفير السعادة لهم، ولذلك " فإن الفرد لدى الليبراليين هو الذي يسن القوانين ويؤسس النظم، حتى تصبح المؤسسات والسياسات المتخذة قادرة على تحقيق السعادة والمنفعة للفرد والمجتمع " [المرجع السابق، ص ٥٨].

وهذا هو جوهر الفلسفة البراجماتية القائمة على النفعية الفردية بصورة عملية مستقبلية وذلك لأنها في الأصل فلسفة مادية بحتة، " فالبراجماتية والليبرالية وجهان لعملة واحدة، وهذه العملة هي إطلاق كافة القدرات الذاتية لتحقيق التقدم، والعمل على إزالة كل العوائق المثبطة لهمة التفوق والأفكار لدى الأفراد، وهما دعامتان قويتان للرأسماليين بحجة قوتهم على العمل ونتائجه العظيمة التي تخدم الأفراد، حسب تصورهم " [محمود، ١٩٨٢ م، ص ١٧٦].

٥. مبدأ النسبية:

" تبني الليبرالية فلسفتها للحياة على مبدأ النسبية، فالأخلاق والقيم والنظم والظواهر الاجتماعية والعلم كلها نسبية حيث لا يوجد حقائق مطلقة، وعليه فالليبرالية تنكر أي ثبات في القيم الدينية والأخلاقية لذا فهي تؤسس للشك والنقد في رؤيتها للحياة، وهذه الرؤية مؤسسة على مبدأ الحرية الفردية، فالأفراد هم مصدر إنشاء القواعد الأخلاقية بالاعتماد على عقلانيتهم القائمة على مبدأ ما هو نافع للفرد فهو خير، وما هو ضار له فهو شر، وعندما تتعارض بعض القواعد مع مصالح الأفراد ومنافعهم فلهم حق تغييرها أو تعديلها، ويعني ذلك أن الحقائق الأخلاقية متغيرة بتغير المجتمعات والأفراد والمكان والزمان فيما يقره الأفراد والمجتمع يصبح مشروعاً وإن كان مستهجناً من الناحية الفطرية للإنسان، فليس هناك ثوابت فكل شيء نسبي، والعقل هو أداة إيجاد البدائل، والمنفعة ومصلحة الفرد هي غايته " [عارف، ١٩٩٤ م، ص ٢٠٠].

٦. مبدأ التعددية:

تنظر التعددية إلى المجتمع على أنه يتكون من روابط سياسية وغير سياسية متعددة بين أفراده، ذات مصالح مشروعة مختلفة، حيث تعتبر التعددية نظام علاقات حقوقية، يوفر لهؤلاء الأفراد الفرصة والحق في التواصل من دون أن تكون للفروق الدينية أو المذهبية أو العرقية أي قيمة أو أهمية أو دور أو قدرة على مصادرة الحرية.

" وتعمل التعددية على وضع قيود على السلطة السياسية، بحيث يتم المحافظة على الحريات الأساسية للأفراد، كحرية الضمير، وحرية الفكر، وحرية الرأي، وحرية الفرد في اختيار الطريق التي يراها مناسبة لحياته، والحفاظ أيضاً على حق الجماعات الاجتماعية والسياسية المختلفة في الوجود والتعبير عن مصالحها والدفاع عن نفسها، والمشاركة في إدارة الشؤون العامة وفي اتخاذ القرارات السياسية داخل المجتمع السياسي " [الربيعي، ٢٠٠٧ م، ص ٥٤].

المطلب الرابع: الأسس الفكرية والمنهجية للفكر الليبرالي:

يرتكز الفكر الليبرالي عل مجموعة من الأسس الفكرية والمنهجية التي تمثل محوراً شاملاً وكلياً له يميزه عن غيره ويمكن إجمال تلك القيم في النقاط التالية:

" ١. مركزية الفرد:

تمثل فكرة أولوية الفرد على الجماعة الخيط الرئيس للفكر الليبرالي، وفي هذا السياق ترى بعض الاتجاهات الليبرالية أو ما يسمى بالمذهب الذري، أن الأفراد أشبه بذرات متناثرة داخل المجتمع وبناء على هذا الأساس فقد تم تعريف المجتمع بأنه: يتكون من مجموعة من الأفراد يعمل كل فرد في هذه المجموعة على تحقيق مصالحه الخاصة وحاجاته المادية والمعنوية، وتحمل هذه الرؤية في مضمونها فكرة رفض وجود المجتمع أو التأكيد على أن المجتمع يتشكل من مجموعة من الأفراد ذوي الاكتفاء الذاتي حيث يعتمد فيه كل فرد على نفسه ومن ثم فالليبرالية تعلي وتضخم (الأنا) الفردية.

٢. المساواة:

ترمز المساواة عند الليبرالية إلى إعطاء كل فرد ما يستحقه، فيما يتعلق بالثواب والعقاب، وأن يكون التعامل مع الناس قائماً على أسس تحفظ للفرد حقوقه واحترامه، حيث يتمتع الأفراد بحقوق متساوية لإنسانيتهم بقطع النظر عن العرق أو الجنس أو الدين أو الخلفية الاجتماعية.

كما تؤكد الليبرالية على المساواة وتكافؤ الفرص وليس النتائج أمام الأفراد لتحسين وضعهم الاجتماعي كلٌ حسب جهده.

والمساواة من وجهة نظر الليبرالية تقوم على الالتزام الشكلي، حيث لا يمكن إحداث مساواة كاملة بين الأفراد بسبب اختلاف مهارات وإمكانات ومواهب كل فرد عن الآخر، إلا أن العدالة تتحقق عندما يكون لدى كل فرد من الناس فرص متساوية لتنمية قدراته ومهاراته أي: أن كل فرد لديه الفرصة في الصعود الاجتماعي وتحسين وضعه بجهده ودأبه.

والمساواة السياسية لدى الليبراليين تقوم على منح فرص متكافئة للجميع للتعبير عن أفكارهم وتنظيم أنفسهم، بحيث تؤسس للناس حكماً خاضعاً لإرادتهم ويكون الحاكم من ذوي الإمكانات والمواهب حسب قدرته واستعداده للعمل بقطع النظر عن الجنس أو الدين أو اللون، على نقيض ما كان سائداً في الغرب، من استناد على عوامل تقع خارج إرادة الناس مثل الحظ أو المكانة أو الوراثة.

٣. التسامح:

التسامح لدى الليبرالية رؤية مثالية ومبدأ اجتماعي وموقف يقتضي من الفرد والمجتمع والدولة تقبل طريقة الآخر في التفكير أو التصرف بشكل مختلف، والتسامح قيمة أخلاقية تحمل الأنا على احترام حريات الآخرين أياً كانت نوعيتها سواء أكانت فكرية أم سياسية أم اقتصادية أو غيرها من الحريات، وقبول الأخر والتسامح معه يرتبط بالاستعداد لترك الناس يفكرون ويتكلمون بأسلوب قد لا يتفق مع المرء.

وأساس فكرة التسامح هي التسامح للأفراد أن يأخذوا حريتهم للتعبير عن أنفسهم بالطريقة التي يرونها، لذا فالليبرالية لا تؤمن بالرقابة أو أي وسيلة لمنع حرية التعبير في المجتمع، حتى لو كان ذلك تحدياً لثوابت المجتمع أياً كانت.

٤.الإنسانية:

الليبرالية في جوهرها تقوم على حرية الإنسان ومراعاة مصالحه وتنمية كفاءاته، وتمنحه الثقة بطبيعته وقابليته، لتحقيق أقصى ما يستطيع من خلال توفير مناخ حر للإبداع يساعد على الإنتاج، فكونت له مجموعة من الحقوق والضمانات اللازمة المؤسسة على أن يكون حراً.

وتعمل الليبرالية على مراعاة شعور الإنسان وصحته وإبعاده عن الكوارث وعن الاضطهاد والقتل والاعتقال وما يقف أمامه " [الرميزان، ١٤٣٠ هـ، ص ٤٣ – ٥٠ (بتصرف)]

المطلب الخامس: المجالات الأساسية للمذهب الليبرالي:

" تعددت مجالات الليبرالية بحسب النشاط الإنساني. وذلك أن الليبرالية مفهوم شمولي يتعلق بإرادة الإنسان وحريته في تحقيق هذه الإرادة فكل نشاط بشري يمكن أن تكون الليبرالية داخلة فيه من هذه الزاوية، وبهذا الاعتبار.

إن خصوصية الليبرالي عامة أنه يرى في الحرية أصل الإنسانية الحقّة وباعثة التاريخ. وخير دواء لكل نقص أو تعثر أو انكسار.

وأبرز هذه المجالات شهرة: المجال السياسي، والمجال الاقتصادي.

أولاً: ليبرالية السياسة:

في موسوعة لالاند الفلسفية: الليبرالية: مذهب سياسي يرى أنه من المستحسن أن تزاد إلى أبعد حد ممكن استقلالية السلطة التشريعية والسلطة القضائية بالنسبة إلى السلطة الإجرائية التنفيذية، وأن يعطى للمواطنين أكبر قد من الضمانات في مواجهة تعسف الحكم.

ويقول منير البعلبكي: " الليبرالية liberalism فلسفة سياسية ظهرت في أوربا في أوائل القرن التاسع عشر.. تعارض المؤسسات السياسية والدينية. التي تحد من الحرية الفردية، وتنادي بأن الإنسان كائن خيّر عقلاني، وتطالب بحقه في التعبير وتكافؤ الفرص والثقافة الواسعة.

وتعتبر الديمقراطية من النظم الليبرالية التي تسعى لإعطاء الفرد حقوقه وهي نوع من التطبيق العملي للفكر الليبرالي. يقول الدكتور حازم الببلاوي: (فنقطة البدء في الفكر الليبرالي هي ليس فقط أنها تدعو للديمقراطية بمعنى المشاركة في الحكم، ولكن نقطة البدء هو أنه فكر فردي يرى أن المجتمع لا يعدو أن يكون مجموعة من الأفراد التي يسعى كل فرد فيها إلى تحقيق ذاته وأهدافه الخاصة).

وقد أعطت الديمقراطية كنظام سياسي جملة من الحريات السياسية مثل: حرية الترشيح، وحرية التفكير والتعبير، وحرية الاجتماع، وحرية الاحتجاج، كما أعطت جملة من الضمانات المانعة من الاعتداء على الأفراد وحرياتهم مثل: ضمان الاتهام، وضمان التحقيق، وضمان التنفيذ، وضمان الدفاع.

وقد أدّت الثورات الليبرالية إلى قيام حكومات عديدة تستند إلى دستور قائم على موافقة المحكومين.وقد وضعت مثل هذه الحكومات الدستورية العديد من لوائح الحقوق التي أعلنت حقوق الأفراد في مجالات الرأي والصحافة والاجتماع والدين.كذلك

حاولت لوائح الحقوق أن توفر ضمانات ضد سوء استعمال السلطة من قبل الشرطة والمحاكم.

ومع ذلك فإن الليبرالية تطالب من الدول الديمقراطية مزيداً من الحريات تطالب بالتخفف من السلطة على الأفراد ليحصل بذلك الفرد على حريته.

ويرى سبنسر أن وظائف الدولة يجب أن تحصر في الشرطة والعدل والدفاع العسكري بمواجهة الأجنبي.

ويظهر من ذلك المطالبة بغياب الدولة إلا فيما يتعلق بالحماية العامة للمجتمع، وهذا هو رأي الليبراليين الكلاسيكيين. وقد انقرض هذا الرأي في الليبرالية المعاصرة التي جنحت إلى اعتبار الحرية الفردية هدفاً ولو بتدخل الدولة. بينما كان المذهب الأساسي عند الكلاسيكيين المطالبة بغياب الدولة مهما تكن نتائجه على الفرد.

وقد اختلف الليبراليون الكلاسيكيون مع الديمقراطيين فيمن يملك حق التشريع العام، فالديمقراطيون يرون أن الأكثرية هي التي تقرر وتشرع وتمسك بزمام السلطة. أما الليبراليون فقد اهتموا بحماية الفرد من الأذى، وأن هذه هي مهمة القانون بدل التشديد على حق الآخرين بسبب الأكثرية، وهذه من نقاط التصادم بينهم.

ولكن الليبرالية اختلفت في الواقع المعاصر عمّا كانت عليه سابقاً.

ويمكن أن نطلق على التوجه الجديد (الليبرالية الجديدة) وبرروا ذلك بأنه نتيجة لعدم مسايرة الليبرالية التقليدية للتطور الذي شهده العالم كان ذلك هو السبب في ولادة ليبرالية جديدة تتلاءم وظروف المجتمع الجديد، وهي ليبرالية ما بعد الحرب العالمية الثانية.

والفرق بينهما فيما يتعلق بالسياسة هو:

أن دور الدولة في ظل النظرة الجديدة يجب أن يكون أكبر، فلها مهمة أساسية هي تحديد الإطار القانوني للمؤسسات التي يدور فيها النشاط الاقتصادي، وقد حدد منظرو الليبرالية الجديدة دور الدولة الذي يجب أن تقوم به بما يلي:

١-أن تعمل كل جهدها ضد التضخم والانكماش.

٢-أن تحد بشكل معتدل من سلطة الاحتكار وبشكل تتابعي.

٤-أن تتحمل كافة الخدمات العامة.

٥-أن تعطي الفرص والموارد بالتساوي.

٦-أن تطبق التخطيط التأثيري من أجل التقليل من المخاطر التي قد تحدث.

٧-أن تطبق التخطيط المركزي عندما يقتضي أن يكون هناك عمل تغير بنائي.

٨-أن تتدخل عندما يكون هناك خلل في ميكانيكية السوق.

ثانياً: ليبرالية الاقتصاد:

الليبرالية الاقتصادية: مذهب اقتصادي يرى أن الدولة لا ينبغي لها أن تتولى وظائف صناعية، ولا وظائف تجارية، وأنها لا يحقّ لها التدخل في العلاقات الاقتصادية التي تقوم بين الأفراد والطبقات أو الأمم. بهذا المعنى يقال غالباً ليبرالية اقتصادية.

ويلاحظ أن هذا التعريف واقع على الليبرالية الكلاسيكية قبل التحول الكبير الذي تم في الليبرالية الجديدة.

ويقول البعلبكي ويطلق لفظ الليبرالية أيضاً على سياسة اقتصادية نشأت في القرن التاسع عشر متأثرة بآراء آدم سميث بخاصة، وأكدت على حرية التجارة وحرية المنافسة، وعارضت تدخل الدولة في الاقتصاد.

والليبرالية الاقتصادية وثيقة الصلة بالليبرالية السياسية، ويعتقد الليبراليون أن الحكومة التي تحكم بالحد الأدنى يكون حكمها هو الأفضل.. ويرون أن الاقتصاد ينظم نفسه بنفسه إذا ما ترك يعمل بمفرده حراً، ويرون أن تنظيمات الحكومة ليست ضرورية.

وأبرز النظم الاقتصادية الليبرالية هو نظام " الرأسمالية " الذي رتّب أفكاره عالم الاقتصاد الاسكتلندي آدم سميث في كتابه (ثروة الأمم).

ويدخل في الحرية التي يطالب بها الليبراليون حرية حركة المال والتجارة، وحرية العمل وحرية التعاقد، وحرية ممارسة أي مهنة أو نشاط اقتصادي آخذاً من الشعار الشهير للثورة الفرنسية " دعه يعمل دعه يمر."

والذي يحكم قواعد اللعبة الاقتصادية وقيمها هو سوق العرض والطلب دون أي تقييد حكومي أو نقابة عمالية. فللعامل الحرية في العمل أو الترك كما لصاحب رأس المال الحرية المطلقة في توظيف العدد الذي يريد بالأجرة التي يريد.

ولكن سبق أن ذكرنا أن المفهوم الليبرالي تغير وبرزت الليبرالية الجديدة عل السطح بعد الحرب العالمية الثانية بسبب الأزمات الاقتصادية الخانقة والكساد وذلك لتمركز رأس المال وظهور الاحتكارات الصناعية الضخمة، وانهيار قاعدة الصرف بالذهب وأزمة الثورات العمالية في ألمانيا مما جعل الحكومات تتدخل لإنعاش الاقتصاد فتغيرت الأيديولوجية الليبرالية إلى القول بأهمية تدخل الحكومة لتنظيم السوق.

وقد فصّل صاحب كتاب " الليبرالية المتوحشة " كيفية تدخل الدولة لإنعاش الاقتصاد وإصلاح السوق، وبهذه المرحلة تغيب شمس الليبرالية الكلاسيكية حيث أبطل الواقع فكرة إصلاح السوق لنفسه لتبرز إلى السطح الليبرالية الجديدة بقوة " [السلمي، ١٤٢٧ هـ، ص ١٦ – ١٩ (بتصرف)]

الفصل الثالث: انتقال الفكر الليبرالي إلى المملكة العربية السعودية، ويشتمل على المطالب التالية:

- **المطلب الأول: نشأة وتطور الفكر الليبرالي في المملكة العربية السعودية.**
- **المطلب الثاني: أسباب ظهور الفكر الليبرالي في المملكة العربية السعودية.**
- **المطلب الثالث: مظاهر ومقومات الفكر الليبرالي في المملكة العربية السعودية.**

📖 انتقال الفكر الليبرالي إلى المملكة العربية السعودية

المطلب الأول: نشأة وتطور الفكر الليبرالي في المملكة العربية السعودية:

يؤرخ شاكر النابلسي " بداية الليبرالية السعودية بعام ١٩٢٦ م، وكانت بداية نشأتها بصدور كتاب في ذلك العام بعنوان (خواطر مصرحة) لمؤلفه محمد حسن عواد (١٩١٤ –١٩٨٠م)، والذي يعتبرا رائد الليبرالية السعودية، ويعتبر أيضاً فجر الحداثة السعودية " [النابلسي، ٢٠١٠ م، ص ٩].

" ويعتبر كتاب العواد ممن أسس الليبرالية في السعودية بناءً على عدد من آرائه، التي تعتبر ليبرالية، وتتمثل في إيمان العواد العميق بالنقد الذاتي، ورؤيته التنويرية بخصوص التعليم، وأهمية الحرية عند العواد، ويعتبر كتاب العواد نذيراً ضد عودة الخلافة الإسلامية، كما اعتمد العواد على إيمانه بإفساد المرأة ورفضه للحجاب، وموقف العلماء والدعاة الناقد والمجرم للعواد.. ، كما أنه اعتمد في كتابه على هجومه الشرس وسخريته من العلماء، وكل مواقفه الليبرالية في هذه الموضوعات أرست بداية فجر الليبرالية السعودية " [المرجع السابق، ص ١٦].

ويؤرخ النابلسي لليبرالية السعودية بشخصية أخرى " وهو الوزير محمد سرور الصبان (١٨٩٨ – ١٩٧١م) لدوره الثقافي والسياسي، ويؤيده في ذلك الحداثي السعودي عبد الله الغذامي " [الغذامي، ٢٠١٣ م، ص ٤٩].

ويصف شاكر النابلسي الوجود الليبرالي السعودي بأنه يشمل عدداً من " الليبراليين الكتّاب والمثقفين والشعراء والصحافيين والإعلاميين والأكاديميين ورجال الأعمال والناشطين في مختلف الحقول في السعودية.. ولهم مجالات إنتاج معرفي في الشعر والنثر وفي التاريخ والسياسة والاجتماع والدين " [المرجع السابق، ص ١٧٨ – ١٧٩].

وفي حقيقة الأمر لا يوجد تنظيمات رسمية أو معروفة للفكر الليبرالي في المملكة العربية السعودية، وإنما الموجود بعض المنظرين والمفكرين المهتمين بالفكر الليبرالي ولعل من أكبر الأسباب التي تحول دون ذلك عدم وجود انتخابات تشريعية وبرلمانية.

ويعد النابلسي من أكثر المهتمين بنشر الفكر الليبرالي في المملكة العربية السعودية على وجه الخصوص بكافة مجالاتها، " فقد نشر تسعة كتب في مجالات مختلفة، كلها خاصة بالشأن السعودي، صدر أولها عام ١٩٨٥ م ونشر آخرها في عام ٢٠١١م، ويكتب النابلسي مقالات في عدد من الصحف والمواقع الالكترونية السعودية، وكثيراً ما يتناول السعودية قي كتبه ومقالاته المختلفة، وللرجل علاقات خاصة بعدد من الأمراء والمثقفين السعوديين، ويزور السعودية باستمرار، وقبل انتقاله إلى أمريكا عاش النابلسي في السعودية قرابة ثلاثين عاماً (١٩٦٨ – ١٩٩٦ م) " [القايدي، ١٤٣٣هـ، ص ١٢٧].

وقد كانت لأحداث الحادي عشر من سبتمبر الأثر البالغ في محاولة انتعاش الحركة الليبرالية في السعودية وأنها أسهمت بشكل كبير في تسريع وتيرة التيار الليبرالي، وفي هذا الصدد يؤكد الحمد بأن المرحلة القادمة هي مرحلة الانتقال نحو هذا المشروع فيقول: " إن هذه المرحلة التي نعيشها هي مرحلة انتقالية ضرورية بين زمن قد ولى وجديد في طريقه إلى القدوم " [الحمد، ٢٠٠٤م، ص ١٢٨]، ويقول أيضاً: " إننا نعيش لحظة تنويرية ثالثة (إن صح التعبير) هذه الأيام، تجعلنا أكثر تفاؤلاً بأن النهضة الفعلية في طريقها إلى القدوم برغم كل عوامل التشاؤم والكآبة المحيطة " [المرجع السابق، ص ١٨٦].

وقد تطور عمل المفكرين والمنظرين الليبراليين في نشر فكرهم في المملكة العربية السعودية من خلال استهدافهم القنوات الإعلامية وشبكات الانترنت وذلك بهدف

عملية الاستقطاب الفكري ونشر المبادئ والأفكار والدفاع عن قضاياه، حيث أنشئت عدد من المواقع الإلكترونية، منها على سبيل المثال:

١. " منبر الحوار والإبداع:

وهو منبر يغلب عليه الكتاب الليبراليون السعوديون ويهدف–حسب تعريفه لنفسه– إلى تنمية ثقافة التسامح والحوار وقيم المجتمع المدني وجمعياته، التي من شأنها العمل على ترسيخ مشاعر الانتماء الوطني والوحدة الوطنية والسلم الاجتماعي، وذلك من خلال المحاور الآتية:

- دعم التواصل بين المهتمين بالإبداع الأدبي والفني، لترسيخ قيم حرية التفكير والتعبير والإبداع والتسامح، ومساندة المبدعين في هذا الشأن، وكذلك العمل على تشجيع الحوار الاجتماعي من أجل تأصيل قيم المجتمع المدني، والديمقراطية، وحقوق الإنسان والمواطنة.
- الاهتمام بالمرأة ودورها في صياغة مستقبل الأمة، وتنظيم ندوات حول القضايا التعليمية والتربوية والاجتماعية والحقوقية التي لها علاقة بالمرأة.
- التواصل مع الأجيال الشابة المهتمة بهذه العناوين، وتشجيع المواهب للمشاركة في نشاط الثقافي والإبداعي ودعم النشاط التطوعي.
- الالتزام بالثوابت الدينية والوطنية والسياسية.

٢. صحيفة الفكر الحر الليبرالية:

هي صحيفة سعودية إلكترونية تشتمل على منتدى للفكر الليبرالي الحر حيث يتم فيه تداول مشكلات الواقع السعودي والخليجي، وتقديم الحلول لها استناداً واعتماداً على الفكر الليبرالي ومبادئه.

٣. منتدياتنا ((الشبكة الليبرالية السعودية)):

تقدم نفسها كشبكة وطنية حرة مستقلة، تؤمن بالليبرالية على أنها خيار لا يتنافى مع الدين الإسلامي الحنيف، بل هي المناخ الأفضل لنشر الإسلام وفق تعاليمه السمحة كما تقول، وذلك فهي تعمل على عرض الليبرالي ذات الخصوصية السعودية التي لا تتنافى أبداً مع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف–حسب رؤيتهم– فالليبرالية كما يراها المنتدى تهدف لتحرير الإنسان سواء أكان فرداً أم جماعة من سطوة القيود (السياسية والاقتصادية والثقافية، والخطاب الديني وليس النص الديني).

ويؤكد القائمون على المنتدى اختلاف الليبرالية في مجتمع غربي متحرر عن مجتمع شرقي محافظ، ومن ثم – حسب زعمهم – فإن الليبرالية السعودية تتحرك وفق أخلاق وقيم المجتمع السعودي.

وشعار الشبكة الليبرالية السعودية هو: الإنسان أولاً وحقوقه المتساوية الثابتة على أساس الحرية والعدل والسلام وكرامة الفرد سواء أكانوا رجالاً أم نساء، حيث يولد

جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق"[الرميزان، ١٤٣٠ هـ،ص ٨٩ – ٩١].

المطلب الثاني: أسباب ظهور الفكر الليبرالي في المملكة العربية السعودية:

هنالك أسباب وعوامل أسهمت بشكل كبير في انتقال الفكر الليبرالي إلى المملكة العربية السعودية من خلال منظرين ومفكرين سعوديين وعرب اعتموا بنشر الفكر في المجتمع السعودي ويمكن إيجاز هذه الأسباب والعوامل في النقاط التالية:

١. وجود منظمات خارجية سواء أكانت غربية أم عربية استهدفت العالم الإسلامي عموماً والمجتمع السعودي على وجه الخصوص لما تحمله المملكة العربية السعودية من ثقل سياسي وإقليمي وريادة سواءً على الصعيد العربي أم الإسلامي أو العالمي، " تسللت الليبرالية إلى البلاد الإسلامية من خلال ((الجمعيات السرية)) التي كونها أفراد تأثروا بالفكر الغربي وانبهروا بحضارته المادية " [الخراشي، ١٤٢٧ هـ، ص ٥٩].

٢. الانحراف العقدي عند الكثير من المسلمين وضعف وهشاشة الجانب العقدي عند بعض أفراد المجتمع السعودي، وظهور بعض الفرق المنحرفة عقدياً كالباطنية والصوفية والمرجئة والرافضة والبهائية والقاديانية والدروز والنصيرية.. .. وغيرها، والتأثر ببعض المذاهب الفكرية المنحرفة كالعلمانية والحداثة.

٣. " الجمود والتقليد:. . .. فالتربية الفكرية الجامدة التي نشأ عليها العلماء والحكام منعت بعض الدول الإسلامية والكثير من أفرادها من بناء مشروع سياسي واجتماعي إصلاحي يعتمد على الكتاب والسنة في الأهداف والآليات ليكون نموذجاً عالمياً تهتدي به الأمم الأخرى " [المرجع السابق، ص ٧٤/٧٣].

٤. الانخداع والتأثر من قبل عامة المجتمع وبعض مثقفيه بمبادئ الليبرالية وأسسه الفكرية البراقة وعدم إدراك ما تخفيه هذه المبادئ والأسس من أهداف عميقة وخفية لا يدركها إلا القليل من المفكرين والعلماء، " ولكن ما حدث أن بعضهم بالفعل اقتنع ببريق كلمات لا يوجد بينها وبين الإسلام تعارض ظاهري، اللهم لمن يتبين حقيقة تلك المبادئ في المنظومة الغربية، ثم يعي الفرق بينها وبين شبيهاتها في منظومة القيم الإسلامية، تلك المبادئ هي (الحرية، والتسامح، والمساواة)، وهي جميعاً تمثل نقطة الانطلاق لليبرالية من أنها أيدولوجية مراوغة، ولأن أي منحنى فكري يوجد فيه روّاد كما يوجد فيه مقلدون فإن الروّاد من ذوي المكانة كان وراءهم مقلدون، فقلدوهم في هذا المنحنى الفكري، وهؤلاء لا يعدون أن يكونوا عبارة عن شخصيات مقلدة مبهورة بشخصيات قوية لديها إمكانيات إبداعية تمكّنها من طرح فكرتها جيداً " [بكر، ٢٠١٣ م، ص ١٥٣].

٥. حرص المنظرين والمؤسسين الليبراليين على نشر الفكر الليبرالي بشكل مكثف وموسع في بيئة المجتمع السعودي لإدراكهم بالدور السعودي المؤثر في مستقبل الليبرالية السعودية، ويقينهم بأن تراجعها وتلاشيها في السعودية سيؤدي حتماً إلى تراجعها ونكوصها في الدول العربية الأخرى والعكس صحيح، ويؤكد ذلك النابلسي بقوله: " ومن هنا كنا نردد أن السعودية (بارومتر العرب) في شؤون كثيرة، ومنها موضوع الليبرالية، أي أن: أي تقدم لليبرالية السعودية سوف ينعكس إيجابياً على تقدم الليبرالية في الخليج عامة، وفي بقية بلدان العالم العربي، وانتكاس الليبرالية في السعودية سوف يكون له أثره السيئ في العالم العربي، وهذه مسؤولية تاريخية وثقيلة يتحملها الليبراليون السعوديون " [النابلسي، ٢٠١١ م، ص ١٠٠].

٦. يقين الليبراليين بأن الفكر الليبرالي سيؤثر حتماً على الفكر الإسلامي، وبالتالي سيقل عمل الأنشطة الإسلامية وستتراجع في العالم العربي ككل، ويؤكد هذه الفكرة النابلسي بقوله: " وأود أن أؤكد هنا، أن اهتمامنا بهذا القدر بالليبرالية السعودية على هذا النحو، وتخصيص كتاب لها، يأتي من أن محاولة تليين وزحزحة الصخر الأيديولوجي السعودي، سوف يؤدي إلى مزيد من الزحزحة واللين لكثير من الصخور العربية الصلدة، فعروق هذا الصخر ممتدة في أنحاء كثيرة من العالم العربي " [النابلسي، ٢٠١٠ م، ص ١٠٤].

٧. وجود أذرع وأدوات رئيسة تسهم بشكل كبير في نشر الخطاب الليبرالي في المجتمع السعودي واستغلال مؤسسات الدولة الرسمية خاصة منها الإعلامية والثقافية في تنفيذ المشروع الليبرالي ويقرر ذلك النابلسي بوجود تيار ليبرالي في السعودية يتمثل في " مجموعات كبيرة من المثقفين والكتاب والشعراء والروائيين والناشطين في المجال الثقافي، الداعمين والمؤيدين والمثمنين لكل قرار من الدولة، يشير ويقود إلى التغيير والتطوير، ومعظمها قرارات تصب في صالح الليبرالية السعودية " [النابلسي، ٢٠١٠ م، ص ٨١]، ومن هذه الأذرع والأدوات المؤثرة ما يلي:

- السياسي والمثقف: يقول النابلسي: " دعوة الإصلاح وإقامة مؤسسات المجتمع المدني تقودها في السعودية الآن فئتان: الفئة الأولى من كبار مثقفي الأسرة الحاكمة، ويمثلهم هنا الشاعر والرسام ورئيس مؤسسة الفكر العربي الأمير خالد الفيصل آل سعود، ويتفق معه مجموعة من المثقفين الليبراليين كقينان الغامدي، وعلي الموسى، وسعيد الغامدي، وصالح بن سبعان، وعلي الخشيبان، وغيرهم من النخب المختلفة، وهؤلاء يرون أن الإصلاح الداخلي السياسي والاجتماعي من الممكن أن يتم داخلياً، وذلك ضمن شروط كثيرة " [النابلسي، ٢٠٠٦ م، مقال].

- وزارة الثقافة والإعلام: يقرر النابلسي بأن إحدى وظائفها نشر الثقافة الليبرالية في أوساط المجتمع السعودي فيقول في أحد مقالاته: " كذلك فمن المفيد، أن تقوم وزارة الإعلام بإعداد كتالوجات وكتب ومطبوعات مختلفة تبين ما تقوله المملكة يومياً وموسمياً، من خلال ما يكتبه عشرات كتّاب الصحافة السعودية التنويرية الجديدة من آراء ووجهات نظر شجاعة ومتقدمة في مختلف شؤون الحياة، وهي دليل واضح ووضّاء على واقعية مسيرة الانفتاح والإصلاح التي تقودها المملكة الآن بكل عزم وجسارة " [النابلسي، ٢٠١٠ م، مقال].

- الصحافة: تعتبر الصحافة بمختلف أنواعها من أهم أدوات المفكرين الليبراليين في نشر فكرهم الليبرالي في الوسط السعودي، ويتمثل أثرها في ترسيخ المفاهيم والمبادئ الليبرالية مع مرور الزمن، وكونه يخاطب شريحة كبيرة من المجتمع السعودي بشكل مباشر والتأثير عليهم في متطلبات الناس اليومية والحياتية، وفي هذا الصدد يقول النابلسي: " لا شك أن التيار الليبرالي السعودي، قد ساهم مساهمة كبيرة في تطور الإعلام السعودي، وانفتاحه على النحو الذي هو عليه الآن، وخاصة في مجال الصحافة، ذات الهامش النقد الذاتي الأكبر، بين بقية هوامش وسائل الإعلام الأخرى، ولعل نظرة يومية متفحصة لما يكتب في صحف كالوطن والرياض وعكاظ والجزيرة واليوم، وفي الصحف السعودية التي تصدر في الخارج، وما ينشر في المواقع الليبرالية على الانترنت، من نقود ذاتية جريئة ومخلصة، تشير لنا إلى الشوط الطويل الذي قطعته الليبرالية السعودية " [النابلسي، ٢٠١١ م، ص ٩٦].

- الأندية الأدبية: " وهي إحدى مؤسسات عمل الليبراليين " [النابلسي، ٢٠١٠ م، ص ٧٨]، التي تسمح بنشر الفكر الليبرالي تحت المظلة الرسمية للدولة، ويثبت النابلسي وجود ليبرالية سعودية " بدعوتهم الدائمة إلى ضرورة مساندة الدولة لمؤسسات المجتمع المدني كالأندية الثقافية، وهيئات العاملين في مجال واحد كهيئة الصحافيين " [المرجع السابق، ص ٨١].

- الليبرالية الإسلامية: وهي دعوة براقة تلامس عواطف المجتمع وحسهم الديني بالتوافق التام والتناغم مابين المبادئ الليبرالية والإسلامية، ويطلق عليها البعض الاتجاهات التنويرية، يقول النابلسي عند معرض كلامه عن آراء التنويريين " وهذه الإحيائات الفقهية السعودية الجديدة تأسيس على تأسيس للإحيائات الفقهية التي قال بها محمد عبده وعلي ومصطفى عبد الرزاق، وأمين الخولي، وخالد محمد خالد،. . .... وهي كلها تصب في نهر الليبرالية الفكرية المتدفقة، تحت صخور السلفية والأصولية الدينية " [المرجع السابق، ص ١٢٢].

المطلب الثالث: مظاهر الفكر الليبرالي في المملكة العربية السعودية:

حركة الفكر الليبرالي تضمنت بعض المعالم والملامح التي حرص منظروه ومفكروه في غرسها في المجتمع السعودي والمجتمع العربي والإسلامي على وجه العموم، وذلك من خلال مقاصد وأغراض وأهداف ومشاريع ووسائل تخدم قضيتهم، وتسهم في تغلغل التيار الليبرالي وانتشاره بين أفراد المجتمع السعودي ويمكن إيجاز هذه المعالم والملامح في النقاط التالية:

١. السعي إلى تناول قضية المرأة بهدف تغريبها وتحريرها وإفسادها: فهم يدركون تماماً أن قضية المرأة السعودية هي من المحركات والمؤثرات الجوهرية التي ستكون نقطة انطلاق وانبعاث الخطاب الليبرالي لبقية أفراد المجتمع، فيرى أن " المجتمع العربي ظلم المرأة، وأن هناك نظرة تمييزية متحاملة على المرأة وضدها في ثقافتنا الدينية والأدبية والفكرية.. وأن المرأة هي الجنس المستضعف في ثقافتنا وفي تاريخنا وفي تراثنا " [مقابلة في قناة العربية مع: عبد الحميد الأنصاري بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٧م]، مما خلق ثقافة وهيمنة ذكورية لدى الرجال كان من نتائجها " أن يسيطر على الوعي الاجتماعي لدينا رؤية متخلفة تجاه المرأة، إذ ينظر إليها باعتبارها شيئاً يتم التعامل معه ضمن إطار وعي الرجل به، فالرجل يتخذ المرأة موضوعاً يكيفه كما يشاء، وكما تمليه عليه رؤاه ومطامعه وهواجسه، على اعتبار المرأة شيئاً من هذه الأشياء في عالمه " [المحمود، ص ٦٧]، ومن دعاة الخطاب الليبرالي في السعودية شاكر النابلسي، ورجاء سلامة، والعفيف الأخضر، وقد نقل عنهم نقولات خطيرة تهدف إلى إفساد المرأة العربية عموماً والسعودية على وجه الخصوص، على سبيل المثال لا الحصر، في قضية الاختلاط وعدم الفصل بين الجنسين وإعطاء الحرية المطلقة في ذلك، تقول رجاء سلامة: " ونطالب بما يضمن المساواة والحرية بين الجميع بفصل الدين عن السياسة، وفصله عن التشريع، وإخضاع العلاقات بين الرجال والنساء إلى القوانين المدنية الحديثة " [سلامة، ٢٠٠٥ م، مقال]، ويقول الأخضر في معرض كلامه في مشروع الاختلاط: " أما الإجراءات فهي إصلاح الإسلام الذي يؤدي إلى باقي الإجراءات الأخرى مثل:. . .. وتشجيع الاختلاط في المدرسة والنادي والسينما ووسائل النقل وفي كل مظاهر الحياة الاجتماعية " [الأخضر، ٢٠١٠ م، حوار]، وفي قضية الحجاب يعتبره النابلسي " من الأمور التافهة ومن الموروثات الجاهلية وأنه عادة اجتماعية.. ويقول: فالمرأة التي تحررت من الحجاب في مطلع القرن الماضي، عادت إلى عبودية الحجاب من جديد " [النابلسي، ٢٠٠٧ م، مقال].

٢. الدعوة إلى الابتعاث للدول الغربية: وهو من أهم وأخطر مشاريع اللبراليين في السعودية ويسعون جاهدين في نشره بين شباب السعودية، ويلاحظ أن أهداف

الليبراليين لم تكن لا كتساب المعرفة والفائدة العلمية فقط، بل هناك أهداف أبعد، وفي هذا الصدد يذكر النابلسي هدف الابتعاث صراحة فيقول: " وهذا التوسع لم يكن يعني فقط زيادة عدد حملة الشهادات العليا من الجامعات الغربية، بقدر ما كان يعني زيادة جرعة التنوير الحضاري للأجيال السعودية الجديدة " [النابلسي، ٢٠١٠ م، مقال الإنتاج الحضاري].

٣. الدعوة إلى تبديل التعليم وتغييره: وقد ظهرت دعوات في فترات ماضية وما زالت مستمرة تنادي بضرورة إعادة النظر في المناهج التعليمية السعودية، واستبدالها بمناهج تنويرية ومدنية مستقاة من الغرب، والادعاء بأن مناهج السعودية تقليدية وقديمة وتدعو إلى العنف والتعصب الديني ونبذ غير المسلمين والمخالفين، وعدم قبول الآخر وتعطيل ثقافة الحوار والنقاش، يقول النابلسي: " خطوة وزارة التربية والتعليم بتغيير المناهج المدرسية، وبطرح ٢٧٧ كتاباً جديداً في المناهج المدرسية خطوة حضارية، وشجاعة، وتستاهل وقفة طويلة، سيما وأن الجميع كان ينادي بها ليلاً ونهاراً، وهذا ما هو مأمول من الإدارة الجديدة لوزارة التربية والتعليم، وهي مدركة هذا أشد الإدراك " [النابلسي، ٢٠١٠ م، مقال المناهج]، " ويطمح شاكر إلى تدريس الفلسفة، ونتاج الحداثيين العرب، وتراث الفلاسفة العرب والإغريق والأوروبيين في المؤسسات التعليمية السعودية " [النابلسي، ٢٠١٠ م، مقال القطيعة العربية].

٤. نشر الفكر الليبرالي عن طريق الشعر والأدب والرواية: فمن الملاحظ استخدام الليبراليين السعوديين مجال الشعر الأدبي والرواية التسويق لفكرهم الليبرالي وذلك في نقد الشريعة والسخرية من الدعاة ونشر فكرة التحرر الجنسي، ومن الملاحظ في الآونة الأخيرة تركيز المشروع الليبرالي على الروايات وخاصة الجنسية، وقد كثرت مؤلفاتهم ومطبوعاتهم بهذا الشأن، ولقت رواجاً عالياً خاصة في شريحة الشبان والفتيات في مرحلة المراهقة، وقد اهتم النابلسي كثيراً بالمنتج الأدبي السعودي، وخصص الكثير من كتبه ومقالاته للحديث عن الشعر والرواية السعودية، وفي دورها في دعم الحركات الليبرالية في السعودية، ومما قاله: " شعراء الحداثة هم المحسوبون على التيار الليبرالي، لأن أفكارهم متطابقة مع أفكار هذا التيار" [النابلسي، ٢٠١٠ م، ص ٨٣]، وفي الرواية يقول: " لو بحثنا في الرواية السعودية لوجدنا أن الروائيين السعوديين هم الليبراليون " [المرجع السابق، ص ٨٣].

٥. استخدام السينما في نشر الحركة الليبرالية السعودية: تعتبر السينما أحد أهم أدوات التثقيف الاجتماعي الليبرالي، ويستخدم كأداة مهمة في نشر حركتهم الفكرية، على الرغم من محدودية نشاطها وعملها في المملكة العربية السعودية، واقتصارها على

أماكن محدودة: كالسفارات الأجنبية وبعض الجامعات والأسواق والأندية الثقافية، " وقد ثمّن النابلسي عرض بعض السفارات والأندية الثقافية عدداً من الأفلام السينمائية تحت إشرافها " [النابلسي، ٢٠١٠ م، مقال السينما].

٦. المؤتمرات: رعت السعودية وشاركت في ثلاث مؤتمرات لحوار الأديان ورفض التعصب، وهي في عام ٢٠٠٨ م: مؤتمر مدريد لحوار الأديان، ومؤتمر حوار الأديان بنيويورك بمقر الأمم المتحدة وبمبادرة سعودية، وفي مكة تم عقد المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار، وفي هذه الظروف يقول النابلسي " وهذه المؤتمرات الثلاثة في سنة واحدة من بشائر الليبرالية السعودية " [النابلسي، ٢٠١٠ م، ص ٧٢].

٧. معرض الكتاب بالرياض: ففي السنوات الأخيرة شهد المعرض تقدماً كبيراً على مستوى معارض الدول العربية، وأصبح له حضور إعلامي وجماهيري وزوار من كل مكان، وفي الحقيقة يستغل الليبراليون هذا المشروع في تمرير أفكارهم وخططهم للمجتمع تحت غطاء رسمي، وتقام فيه الكثير من الندوات الثقافية والمؤتمرات والمحاضرات وورش العمل بمشاركة كبيرة من منظري الفكر الليبرالي، وقد عدّه النابلسي من مظاهر الليبرالية السعودية فيقول: " الدعوة والدعم والترحيب بقرار وزارة الإعلام برفع سقف حرية الكتاب إلى حد كبير، وإتاحة دخول معظم الكتب التي كانت ممنوعة في السابق، واشتراكها في معرض الرياض للكتاب السنوي " [النابلسي، ٢٠١٠ م، ص ٨١].

٨. جامعة كاوست: وقد أنشأت جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية، وقد استغلت من الليبراليين في خدمة مشروعهم وحركتهم الليبرالية وذلك بهدف تحويلها من مشروع تعليمي إلى مدينة غربية مصغرة يتم توفير ما يحتاجون إليه في تلك الأماكن، بالإضافة إلى توجيه رسالة للعالم الذي يصف السعودية بمنبع الإرهاب بوجود الحريات الشخصية والاجتماعية، يتحدث النابلسي عن إنجازات الليبرالية السعودية في زحزحة الصخر الأيديولوجي، فيقول: " وكان آخر نجاحات هذه الزحزحة، جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية (كاوست) وما سوف تمثله من انطلاقة ليبرالية علمية، وحداثة حضارية مشهود لها " [النابلسي، ٢٠١٠ م، ص ١٢].

٩. ترميز المثقفين الليبراليين والإشادة بالمؤسسات الحاضنة للفكر الليبرالي: ويلاحظ هذا واضحاً في مشاريع وزارة الثقافة والإعلام وفي عناوين المؤتمرات والندوات وممرات معرض الكتاب بالرياض التي تحمل أسماء مثقفين ليبراليين بهدف بعث وإبراز المثقف السعودي الليبرالي، وعن الإشادة بمكتبة تهامة يقول عنها النابلسي: " احتوت الثقافة السعودية المعاصرة، ونقّبت عنها، وضختها للقارئ السعودي

والعربي، وأخرجتها من الظلمات إلى النور، ونفضت عنها الغبار، وقدمتها رغيفاً حاراً شهياً وطازجاً " [النابلسي، ٢٠١٠ م، مقال (الكتاب)].

الفصل الرابع: الليبرالية في ميزان الإسلام، ويشتمل على المطالب التالية:

- **المطلب الأول: الفرق بين الحرية في التصور الإسلامي والحرية في الفلسفة الليبرالية.**
- **المطلب الثاني: أنواع الحريات في التصور الإسلامي.**
- **المطلب الثالث: تحليل نقدي لواقع الفكر الليبرالي في المملكة العربية السعودية.**
- **المطلب الرابع: الحكم الشرعي لليبرالية في الإسلام.**

📖 الليبرالية في ميزان الإسلام

المطلب الأول: الفرق بين الحرية في التصور الإسلامي والحرية في الفلسفة الليبرالية:

المفهوم الفلسفي لهذا المذهب الفكري (الليبرالية) هو الحرية المطلقة التي لا تحدها الحدود ولا تمنعها السدود إلا ما كان فيها تجاوز لحريات الآخرين على قاعدة (تنتهي حريتك حيث تبدأ حريات الآخرين).

ومن استعمل هذا المصطلح لغير هذا المفهوم الشمولي فهو غير مصيب في استعمال المصطلح في غير مجاله وكان الأولى به البحث عن لفظ يناسب معناه غير هذا المصطلح.

وهذا يكشف مدى تردد الليبراليين العرب بين مفهوم المصطلح الفلسفي وبين انتسابهم للإسلام المناقض له من الجذور والأصول " [السلمي، ١٤٢٧ هـ، ص ٨].

ومن أسرار الشريعة الإسلامية حرصها على تعميم الحرية في الإسلام بكيفية منتظمة، فإنّ الله لمّا بعث رسوله بدين الإسلام كانت العبودية متفشيّة في البشر، وأقيمت عليها ثروات كثيرة، وكانت أسبابها كثيرة: وهي الأسر في الحروب، والخطف في الغارات، وبيع الآباء والأمّهات أبناءهُمْ، والرهائن في الخوف، والتداين. فأبطل الإسلام جميع أسبابها عدا الأسر.

ضوابط الحرية في الإسلام:

على أن الحرية في التربية الإسلامية ليست سائبة، ولا مطلقة العنان حتى تهوي بصاحبها إلى قاع الضلال الروحي ودرك الانحطاط الأخلاقي، بل هي حرية واعية

منضبطة، فإذا خرج بها الإنسان عن أحكام الدين ونطاق العقل وحدود الأخلاق ومصلحة الجماعة، تمت مساءلته ومحاسبته وإيقافه عند حده ورده عن غيه، منعا لضرر الفرد والجماعة، وفساد الدين والدنيا." [الزنتالي، ١٩٩٣م، ص٤٥٩]

ومن تعاريف الحُرِّيَّة أنها التصرّف بالملك بدون عدوان على النفس أو الغير، سواء أكان الملك حسياً أو معنوياً.

فلا يُعتبر الاعتداء على النفس أو الملك الشخصي حرية للإنسان، لذلك حرم " دين الإسلام " الانتحار أو الإضرار بشيء من الجسد أو الملك في غير مصلحة صحيحة مبنية على مكارم الأخلاق، وكذلك فإن الناس يمنعون الأفراد الذين يريدون الانتحار أو الإضرار بأملاكهم من ذلك.

كما لا يُعتبر الاعتداء على الغير سواء باللسان (كالسَّبِّ) أو الأركان (كالضرب) من الحرية. فمن فعل ذلك فهو من الأشرار لا الأحرار.

المطلب الثاني: أنواع الحريات في التصور الإسلامي:

الصنف الأول: الحرية المتعلقة بحقوق الفرد المادية، وهذا الصنف يشمل الآتي:

أ – الحرية الشخصية: والمقصود بها أن يكون الإنسان قادراً على التصرف في شئون نفسه، وفي كل ما يتعلق بذاته، آمناً من الاعتداء عليه، في نفسه وعرضه وماله، على ألا يكون في تصرفه عدوان على غيره.

ب–حرية التنقل (الغدو و الرواح): والمقصود بها أن يكون الإنسان حراً في السفر والتنقل داخل بلده وخارجه دون عوائق تمنعه في إطار قانون التأشيرة. والتنقل بالغدو والرواح حق إنساني طبيعي، تقتضيه ظروف الحياة البشرية من الكسب والعمل وطلب الرزق والعلم ونحوه، ذلك أن الحركة شأن الأحياء كلها.

ج–حرية المأوى و المسكن: فمتى قدر الإنسان على اقتناء مسكنه، فله حرية ذلك، كما. أن العاجز عن ذلك ينبغي على الدولة أن تدبر له السكن المناسب، حتى تضمن له أدنى مستوى لمعيشته.

فإذا ما ملك الإنسان مأوى و مسكناً، فلا يجوز لأحد، أن يقتحم مأواه، أو يدخل منزله إلا بإذنه، حتى لو كان الداخل خليفة، أو حاكماً أعلى –رئيس دولة– ما لم تدع إليه ضرورة قصوى أو مصلحة بالغة، لأن الله تعالى يقول: ((يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا و تسلموا على أهلها ذلكم خيركم لعلكم تذكرون، فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم و إن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم و الله بما تعملون عليم)) (٢٧–٢٨) سورة النـــــور

د-حرية التملك: و يقصد بالتملك حيازة الإنسان للشيء و امتلاكه له، و قدرته على التصرف فيه، و انتفاعه به عند انتقاء الموانع الشرعية.

هـ- حرية العمل: العمل عنصر فعال في كل طرق الكسب التي أباحها الإسلام، و له شرف عظيم باعتباره قوام الحياة ولذلك فإن الإسلام أقر بحق الإنسان فيه في أي ميدان يشاؤه ولم يقيده إلا في نطاق تضاربه مع أهدافه أو تعارضه مع مصلحة الجماعة. (من مقال بعنوان الإسلام والحرية – موقع الإسلام اليوم)

و- " الحرية في اختيار المباحات: فالمسلم له الحرية في اتخاذ المسكن الذي يريد دون إسراف وله الحرية في اتخاذ الملابس دون إسراف أو تشبه بالنساء أو شذوذ " [عبد العالي، ١٤٢٢ هـ، ص٢٦]

* الصنف الثاني: الحرية المتعلقة بحقوق الفرد المعنوية، و هذا الصنف يشمل الآتي:
أ-حرية الاعتقاد: ويقصد بها اختيار الإنسان لدين يريده بيقين، و عقيدة يرتضيها عن قناعة، دون أن يكرهه شخص آخر على ذلك. فإن الإكراه يفسد اختيار الإنسان، و يجعل المكره مسلوب الإرادة، فينتفي بذلك رضاه و اقتناعه و إذا تأملنا قول الله تعالى: ((لا إكراه في الدين)) (٢٥٦) سورة البقرة. نجد أن الإسلام رفع الإكراه عن المرء في عقيدته، و أقر أن الفكر و الاعتقاد لا بد أن يتسم بالحرية، وأن أي إجبار للإنسان، أو تخويفه، أو تهديده على اعتناق دين أو مذهب أو فكره باطل و مرفوض، لأنه لا يرسخ عقيدة في القلب، و لا يثبتها في الضمير.

ب- حرية الرأي: و تسمى أيضا بحرية التفكير و التعبير، وقد جوز الإسلام للإنسان أن يقلب نظره في صفحات الكون المليئة بالحقائق المتنوعة، و الظواهر المختلفة، و يحاول تجربتها بعقله، و استخدامها لمصلحته مع بني جنسه، لأن كل ما في الكون مسخر للإنسان، يستطيع أن يستخدمه عن طريق معرفة طبيعته و مدى قابليته للتفاعل و التأثير، ولا يتأتى ذلك إلا بالنظر و طول التفكير.

ج-حرية التعلم: طلب العلم و المعرفة حق كفله الإسلام للفرد،و منحه حرية السعي في تحصيله،و لم يقيد شيئاً منه، مما تعلقت به مصلحة المسلمين ديناً و دنيا، بل انتدبهم لتحصيل ذلك كله، و سلوك السبيل الموصل إليه، أما ما كان من العلوم بحيث لا يترتب على تحصيله مصلحة، و إنما تتحقق به مضرة و مفسدة، فهذا منهي عنه، و محرم على المسلم طلبه، مثل علم السحر و الكهانة، و نحو ذلك.

د- الحرية السياسية: و يقصد بها حق الإنسان في اختيار سلطة الحكم، و انتخابها، ومراقبة أدائها، و محاسبتها، و نقدها، و عزلها إذا انحرفت عن منهج الله و شرعه، و حولت ظهرها عن جادة الحق و الصلاح. [مقال بعنوان الحرية في الإسلام، موقع الإسلام اليوم الالكتروني].

- ومن مبادئ وأسس الفكر الليبرالي هو استناده على الفردية والتي تقدس الذات وتعمل على جلب المصالح الشخصية للفرد بالدرجة الأولى دون النظر إلى مصالح الغير، وهذا الأمر مرفوض في الإسلام، فقد جاءت الشريعة الإسلامية بتحقيق التوازن مابين مصالح الفرد ومصالح الغير بحيث لا يطغى جانب على جانب آخر وبالتالي يتجاهله ولا يعتد به، بل جاء الأمر بوجوب حب الخير للغير، وأن الإنسان لا يكمل إيمانه عند ربه حتى يحب لغيره ما يحب لنفسه، وهذا الأمر يجعل المسلمين تسودهم روح المحبة والألفة والتكاتف والتعاون بعيداً عن حب الذات والأنانية المقيتة التي تضعف المجتمع وتخفي هويته الاجتماعية، وقد جاءت النصوص الشرعية المتعددة والمتنوعة بضرورة اللحمة الاجتماعية والتكاتف والتعاون ومساعدة الغير والأخذ على يد المسكين والفقير والمحتاج وإدخال السرور على الغير وحب الخير للناس، ودلت على وسائل تحققها كتعزية الميت وعيادة المريض ودفع الزكاة والصدقة لأهلها وإكرام الضيف ومساعدة ابن السبيل والمنقطع وبر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الجوار وتقديم النصيحة.. ....

- ويقوم الفكر الليبرالي على العقلانية الذي يحقق أهداف العلمانية التي تقدس العقل وتعتمد عليه في كل شيء، وتسعى إلى تحييد الدين وإقصاء التعاليم الشرعية المستقاة من مصادر التشريع الإسلامي أو إضعافه تدريجياً، ومن أمثلة ذلك ما يقوله محمد عابد الجابري على كلام نقله عن ابن خلدون، " ما يخص مسائل وقضايا العالم المادي المحسوس، وبصفة عامة شئون الاجتماع، فإن ابن خلدون يرى أن الشارع لا يفرض علينا نظاماً معيناً محدداً يشمل جميع جزئيات وتفاصيل حياتنا، ولذلك كان الوحي في الأعم الغالب خاصاً بالتكاليف الشرعية، أما شؤون الدنيا وأمور المعاش ومسائل الاجتماع والحكم فهي متروكة للعقل " [الجابري، ١٩٩٤ م، ص ٧٩].

وهذه الأمور التي منطلقها الفكر العلماني الإلحادي تقوم في مجملها على فصل الدين عن أمور الحياة، وهذا منزلق خطير يتعارض مع رسالة الإسلام ومنهجه القائم على تقديم النصوص الشرعية على العقل في جميع شؤون الحياة سواء ما يتعلق بأمور الحياة الأخروية أو الدنيوية بكافة أشكالها.

-وما يتعلق بمبدأ النسبية أحد مرتكزات الفكر الليبرالي الذي يقوم على نفي الحقيقة المطلقة، وإقرار تغير جميع الحقائق مهما كانت بتغير ظروف الزمان والمكان والحال، وهذا المبدأ يسعى في حقيقته إلى تضييق النصوص الشرعية الثابتة وبالتالي العمل على إلغائها تدريجياً وتعطيلها على مر العصور، واعتبار هذه النصوص تمثل مقاصد الدين العامة، ويعتبرون أن ٩٠ % من النصوص

الشرعية ظنية الدلالة وغير قطعية، وهذا يعني أنه يباح للمسلمين فهم ٩٠ % من الإسلام كما يشاءون، لأنها مسائل اجتهادية اختيارية ولا إلزام فيها، " وهذه الفكرة من شأنها تضييق نطاق النصوص الشرعية وما يستنبط منها لحساب توسيع مجال العقل الذي أخذ يحتل مكانة النصوص في منهجية الاستدلال، فإذا حوصرت الشريعة في هذا الحيز الكمي المحدود (١٠ %) تقريباً، فإن ما يتبقى منها – على زعمهم – هو مبادئ واعتبارات وفضائل عامة تشترك فيها مع الإسلام جميع الأديان والمذاهب المنسوبة إلى السماء أو إلى الأرض، وبهذا تتلاشى الفواصل بين الإسلام وغيره، وتذوب معالمه في فضائل إنسانية عامة " [أبو الفتوح، ١٤٢٢ هـ، ص ٥٨]، وانطلاقاً من هذه القاعدة الخطيرة جعلت أي خلاف فقهي عند البعض – سواء كان معتبراً أو غير معتبر – مسوغاً لفعل ما يريده واختيار الرأي الذي يوافق هواه بدون حرج ولا تثبت.

– أما مبدأ النفعية الليبرالية القائم في مجمله على تقديم المصلحة الدنيوية مهما كانت على النصوص الشرعية بدون تقييد)، فهذا مفهوم خطير أيضاً لأن فيه إفراطاً في مفهوم المصالح فقيّدوا أحكام الشريعة الإسلامية، وحوّلوا تلك المصلحة إلى أصل من أصول التشريع الإسلامي، وهذا المنزلق يجعل الأحكام الشرعية مجموعة من المصالح البعيدة عن نصوص الشرع، " وتتحول العلاقة بين الشارع الخالق والعبد المخلوق إلى علاقة نفعية بحتة، قائمة على مصلحة العبد الدنيوية، وما تتطلبه من معايير متغيرة ترتبط بحاجة العبد وأحواله، فلا يمكن تطبيقها ابتداء إلا من بعد أن يتم تحديد عين المصلحة فيها وحجمها ع فإن تبدلت المنافع وتغيرت المصالح فسيكون من توابع ذلك أن يتبدل التشريع ويتغير – وذلك هو المفهوم البرجماتي –أو يصل التشريع في أحسن حالاته إلى تأويل باهت لا يبقى على أصل التشريع ولا يجعل له أثراً في المجتمع " [بكر، د.ت، ص ٨٧].

–وفيما يتعلق بأفكار الليبرالية وسماتها المتمثلة في التسامح والمساواة والإنسانية والتي لربما تخدع المتابع من بعيد بهذه القيم البراقة والتي في ظاهرها قيم فاضلة لا تتعارض مع الإسلام، ولكن هي في حقيقتها منبثقة من رحم الفكر الليبرالي الأساسي القائم على الحرية وهذا يعني أنهم ينادون بالمساواة بين المسلم والكافر ومساواة الرجل بالمرأة في شتى مظاهر الحياة، والتسامح مع الكافر والفاسق والمبتدع وتمييع أو إلغاء عقيدة الولاء والبراء، والتعامل مع أي شخص كإنسان بغض النظر عن معتقده وديانته وفكره فالناس سواء في كل شيء والحرية تحتم عليهم نزع القيود الشرعية والاجتماعية بين البشر، وهذا الأمر لا يتوافق مع شريعة الإسلام التي تؤكد حقوق الفرد وتحفظ له كرامته مع

الأخذ بالاعتبار التعاليم الشرعية بالتعامل مع كل شخص حسب حاله سواء كان مؤمنا أو كافرا أو مبتدعا أو رجلا أو امرأة، فقد وضح الإسلام الحقوق والواجبات في أجمل صورة.

المطلب الثالث: تحليل نقدي لواقع الفكر الليبرالي في المملكة العربية السعودية:

١. في حقيقة الأمر الصراع القائم ما بين الدعوة الإسلامية والحركة الليبرالية ما هو إلا بين أشخاص وليس بين تيارين فلو أخذنا أصحاب التيار الليبرالي نجد أنهم في المملكة العربية السعودية أصحاب تناقضات فيما يطرحونه وبما تمليه عليه مبادئهم التي يدّعونها، فنجد أنه يحرصون على اقتناص الفرص واكتشاف أخطاء الغير ونشرها في قنوات الإعلام وعلى وجه الخصوص جانب الصحافة، وهم ضد الحرية التي يدعونها بل إنهم في مواقف كثيرة يسعون لفرض آرائهم ومصادرة آراء الآخرين ويسعون لتكميم الأفواه وأقرب دليل مصادرة فتاوى الغير، فأين حرية التعبير عن الرأي التي ينادون بها؟!.

٢. و نلاحظ حرصهم الكبير على القضايا التي تخص المرأة السعودية وينادون بحقوقها التي ضيعت كما يزعمون، فهل ضيع الإسلام حقوق المرأة أم حفظها وصانها ؟!، ونجد أن مشاريع إفساد المرأة السعودية يجتهدون فيها أيما اجتهاد، ويسعون لتغريبها وتقليدها للمرأة الغربية من خلال الدعوة إلى الاختلاط ما بين الجنسين في الأسواق والمؤتمرات والندوات واللقاءات والمنتديات.. ..، كما أن لهم دعوات تناقض مصالح ومقاصد الشريعة الإسلامية بإقرار العلاقات المفتوحة مع الرجال، والمشاركة الرياضية النسائية المختلطة بالرجال، ويدعون بأن هذه قضايا اجتماعية مبنية على العادات والتقاليد المجتمعية ومن خصوصيات الأسرة السعودية، وبهذه الدعوات المغرضة والمفسدة يريدون إلغاء الإسلام وتعاليمه ومقاصده من خيارات المجتمع السعودي، ويتحول الشخص هو المشرع لنفسه ومن حوله وأن له الحرية المطلقة بلا قيود ولا موانع شرعية، ولكن قضية المرأة لا تعالج إلا بالإسلام، وليست قضية اجتماعية بحتة، فنحن في مجتمع مسلم متقيد بتعاليم الإسلام ويبني علاقاته على أساسه.

٣. تقوم فكرة الليبرالية بتقليد الغرب ليس في العلوم المادية فحسب بل حتى في العقائد والأفكار والتوجهات، ويعملون جاهدين على نقل الفكر الأوروبي الغربي الكافر للبلدان العربية والإسلامية، ويعتبرون الانفتاح على الغرب طريق النهضة والتنمية في شتى مجالات الحياة المادية والفكرية، وينتقد سيار الجميل أولئك الذين يرفضون تلقي الثقافة العربية، ويطالب بتقليد الغرب في كل مناحي الحياة فيقول: " أين هم

الآن من نظريات العصر الفلسفية الحديثة ؟ لماذا يتقبلون كل شيء مادي وتكنولوجي ينتجه الغربيون ببساطة وسذاجة باعتباره تحصيل حاصل مشروع وشرعي، ولكنهم يحجمون ويتبلدون عن قبول فلسفات الغرب ونظريات المعرفة الحقيقية المعاصرة ؟ " [الجميل، ٢٠٠٤ م، مقال]، ويؤكد النابلسي في معرض حديثه عن أخذ علوم الغرب: " الأخذ بها بسلبياتها وإيجابياتها، بحلاوتها ومرارتها، بعسلها وعلقمها " [النابلسي، ٢٠٠٧ م، ص ٤٠]، وهذا الانفتاح غير المقيد على التراث الغربي يقابله حتماً انغلاق وإعراض عن تراث أمتنا الإسلامية بل قد يصل للرفض والرد وتجاهل لمصادر التشريع الإسلامي، ولكن المطلوب الحفاظ على هويتنا الإسلامية والرجوع إلى مصادرنا المتينة لتنظيم سير الحياة والتحاكم إليها، وعدم الانجراف الكامل خلف الثقافة الغربية المختلطة، مع الأخذ في الاعتبار بقبول العلوم النافعة وخاصة المادية كعلم الطب والفيزياء والتقنية فتحصيلها مشروع ومطلوب.

٤. مما يلاحظ على المفكرين الليبراليين وخصوصاً في السعودية تناقضهم في مبادئهم الأساسية وهي الحرية السياسية والحرية الاقتصادية !

فيرى الباحث أن ذلك كله ما هو إلا تخبطات وهوى في النفس ومآرب يسعون لتحقيقها باسم الحرية المزعومة.

٥.ونجد أنه يُنسب بعض الأشخاص للتيار الإسلامي وكأنهم أسياد الموقف وهم في حقيقة الأمر أناس عاديون وطلاب علم وأصحاب مكانات اجتماعية ووظيفية، فلماذا لا يتصدر العلماء الراسخون وأهل العلم الفضلاء وأهل الاختصاص في هذا الشأن ولماذا همشت آراؤهم وفتاواهم في جميع القضايا وعلى وجه الخصوص القضايا المعاصرة مثل أعضاء هيئة كبار العلماء وأعضاء اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وفي الحقيقة أن المبادئ والقيم الإسلامية ثابتة، والخطأ هو في الفهم الصحيح لمقاصد الشريعة من أي شخص كائناً من كان.

٦. ومن أهم ما يسعى إليه الليبراليون السعوديون هو استلام زمام التعليم في السعودية باعتباره القاعدة الأساسية التي تصنع الليبرالية، وذلك عن طريق بلورة المناهج التعليمية والتربوية وبنائها وتبديلها لتتوافق مع فكرهم وأطروحاتهم، لأن الغرس في النشء يقطع عليهم أشواطاً كبيرة من مشروعهم، وعن دور التعليم في تغيير المرأة السعودية يقول النابلسي: " إذا رغبت المرأة السعودية في مزيد من الحقوق والحداثة الاجتماعية، ما عليها إلا العمل ومزيد من العمل الإبداعي الخلاق في مجال التعليم، لزيادة عدد المتعلمات وعدم الهروب من مهنة التعليم إلى مهن أخرى " [النابلسي، ٢٠١١م، ص٨٠].

٧. سبق الكلام عن أهم أذرع وأجندة الفكر الليبرالي في المملكة العربية السعودية وهو الابتعاث للدول الغربية، والذي كثر في السنوات الأخيرة، " وهو من أخطر مشروعات الليبرالية السعودية، وخطورته تأتي من جهتين:

الأولى: دوره في تسريع عملية التغريب، وترسيخها بعمق، وتوسيع دائرتها.

الثانية: تنفيذ المشروع خارج رادار العلماء والدعاة، مما يسهل ذوبان هوية المبتعث الإسلامية، وتشكيل ثقافته في إطار غربي. " [القايدي، ١٤٣٣ هـ، ص ١٤٠].

٨. محاربة الدعوة إلى الله: يستهدف الليبراليون السعوديون تحجيم الدعوة إلى الله ومحاصرتها وتشويه صورة الدعاة إلى الله بصور مختلفة، وأخطرها بل أقذرها تخويف النظام والمجتمع السعودي منها، باتهامها بصناعة الإرهاب، والافتراء على العلماء والدعاة بأنهم يفرخون الإرهابيين الذي أضر بالسعودية داخلياً وخارجياً، وذلك بهدف استعداء الدولة على الدعوة إلى الله، وتنفير المجتمع منها، على الرغم بأن العلماء والدعاة في السعودية هم أول من وقف ضد الإرهاب وحذر من الغلو والعنف والتطرف في وسائل الإعلام المتعددة، وأصدروا الفتاوى والبيانات والخطب، وكتبوا الرسائل والبحوث.

٩. يعاني الليبراليون العرب عموماً والسعوديون بشكل خاص من فقر ثقافي، " فأفكارهم ليست ملكاً لهم، ولا من إنتاجهم، ولا هي من بدائع عقولهم، بل هي مسروقة عن الفكر الغربي أحياناً بحروفها، وأحياناً بمعانيها، فالتحديث والتقدم الذي يتحدث عنه هؤلاء كثيراً هو في الحقيقة شكل من أشكال التخلف المتمثل في التقليد لأفكار أمم أخرى " [المرجع السابق، ص ١٦٣]، فيلاحظ عليهم تجميع المقالات التي تخدم قضيتهم، وإعادة نشر أفكارهم بعد فترة من الزمن وتكرارها، وخطابهم يدور حول مبادئهم والتعليم والمرأة وتقليد الغرب والانبهار بالحضارة الغربية، وبعض الكتابات السياسية.. ..

١٠." يلاحظ أن مشروعات الليبراليين السعوديين أغلبها ذات بعد اجتماعي، فالمشروع الليبرالي تحول منذ سنوات – مع غازي القصيبي – من كونه خاصاً بمجموعة من النخبة إلى مشروع يقدم لكل المجتمع، وأيضاً يلاحظ أن بعض المشروعات ذات متعلق أخلاقي إفسادي، وهو صفة لازمة في الليبرالية العربية بكافة أشكالها، فأزمتهم الحقيقية هي المرأة، أما الحقوق، وقضايا النهضة، والمشاركة السياسية ، فهي إما تختفي أو كلام يمحوه تطبيقاتهم الاستبدادية " [المرجع السابق، ص ١٤٦].

المطلب الرابع: الحكم الشرعي لليبرالية في الإسلام:

"الليبرالية فكرة غربية مستوردة، وليست من إنتاج المسلمين، وهي تنفي ارتباطها بالأديان كلها، وتعتبر كافة الأديان قيوداً ثقيلة على الحريات لا بد من التخلص منها " [الخراشي، ١٤٢٧ هـ، ص ١٣٥].

لذلك هنالك بعض المخالفات التي تقع فيها الليبرالية وبعضها في العقائد وبعضها في الأخلاق والقيم الإسلامية ومنها:

✓ **نواقض الإيمان في الليبرالية:**

" إن دارس الليبرالية يجد أنها دعوة إلى الإلحاد ورفض الأديان حيث لا تعترف بهيمنة الدين على الحياة الإنسانية، فقد نمت هذه الفكرة في أجواء رافضة للدين، ومعترضة عليه، وهي تريد أن تعطي الإنسان حريته المطلقة بالتحلل من قيود الأديان والقيم والأخلاق، فأساس الفكرة قائم على تعظيم العقل الإنساني وماديته، ولهذا ارتبطت عبارة (الفكر الحر) في كتابات الغربيين بالإلحاد والرفض للدين والقيم وعليه فإن الليبرالية لا تتفق مع الإسلام " [المرجع السابق، ص ١٣٥]. ومما تقع فيه من نواقض الإيمان ما يلي:

١) كفر الشك:

"وكفر الشك موجود في الليبرالية، فالحرية الفكرية تقتضي عدم الجزم بصحة أمر أو بطلانه لأن الجزم يوصل للمصادرة لآراء الآخرين.

ويعد من المصادرة للآخر عندهم اعتقاد كفر غير المسلمين والبراءة منهم، ويعتبرون هذه الوثوقية (اليقين) ضد حرية التفكير.

..... والفكر الليبرالي لا يعتقد عقائد جازمة غير حق الفرد في الحرية الفردية مهما توصل له من أفكار وعقائد وآراء، فهو لا يملك عقيدة يقينية محددة، لأن كل عقيدة قابلة للتغيير، ومن حق الآخر أن يعتقد خلافها " [المرجع السابق، ص ١٤٢].

٢) كفر الإباء والامتناع:

"ولا ريب أن الفكر الليبرالي يؤسس للامتناع عن شرائع الإسلام في مجال السياسة والاقتصاد، ولهذا تكونت الدول الليبرالية بعيدة كل البعد عن شرائع الإسلام في نظمها السياسية والاقتصاد.

ومن ذلك امتناع الدول الليبرالية من تطبيق الحدود والعقوبات الشرعية، وكذلك الامتناع عن تحريم الربا في البنوك والمؤسسات المالية وهكذا " [المرجع السابق، ص ١٤٥].

٣) الحكم بغير ما أنزل الله:

"وكل من تصور الليبرالية، وعرف حقيقتها فإنه يجزم أنها لا تعترف بحكم الله، ولا تقر بشريعته، وترى أن الحرية الإنسانية كافية في إصدار التشريعات دون الرجوع على جهة إلهية خارج نطاق العقل الإنساني " [المرجع السابق، ص ١٥٠].

✓ **<u>قوادح الأخلاق في الليبرالية:</u>**

"لقد بنيت الليبرالية على أساس مادي لا يرتبط بالقيم والأخلاق، فالأنانية وإتباع الهوى، وما يترتب عليهما من انعكاسات أمور محمودة عندهم لأنها تحقيق لذاتية الإنسان وفرديته، وهذا ما أوصل المجتمع إلى التعامل بطريقة غير أخلاقية في سياسته واقتصاده، فقد أصبح الحديث عن الأخلاق في مجال المال والاقتصاد مثار سخرية وتندر لدى الليبراليين لأنه لا مجال للحديث عن القيم الأخلاقية في الأمور الاجتماعية، فالأخلاق هي العمل أياً كان تقويمه من حيث الجودة أو الرداءة، فالإنسان الأخلاقي هو الإنسان المنتج، وهذا ما جعل الأخلاق لا قيمة لها في الحقيقة فانتشرت بسببها: الأثرة (الأنانية)، والظلم، واتباع الهوى " " [المرجع السابق، ص ١٥٦].

كل ما تقدم هو نقد لفكر الليبرالية من حيث أصولها وأسسها ومبادئها التي قامت عليها ومنطلقاتها من الغرب، والفكر الليبرالي فكر متغير من جيل إلى جيل ومن مجتمع إلى مجتمع فمن الخطأ الحكم على أفراده بأعيانهم بل النقد السابق للفكر ذاته وليس للأشخاص المنتسبين إليه فهو فكر بشري وليس إلهي قد لا تتم القناعة بجميع ما يحويه من قبل أفراده.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث أشكر المولى عز وجل الذي أعانني على جمع هذه المادة من مصادرها المختلفة والتي أشير فيها إلى أن هذا العصر مليء بالتحديات المختلفة ولا بد أن تتخذ الدعوة الإسلامية ممثلة في العلماء والدعاة والمفكرين والمربين والساسة وصناع القرار موقفاً إيجابياً تجاه تحدي الليبرالية التي تعصف بالكثير من الناس، وقد تطرقنا بين ثنايا صفحات هذه الدراسة عن مفهومها ونشأتها الغربية ومجالاتها ومبادئها وأسسها الفكرية والمنهجية ثم تطرقت الدراسة لانتقالها إلى المملكة العربية السعودية ونشأتها ومنظروها وأسباب انتشارها ومعالمها ومقوماتها في المجتمع السعودي، ثم

انتقلنا إلى دراسة الليبرالية في الإسلام وأشرنا إلى الحرية في الإسلام وتحليل واقع الليبرالية في السعودية ثم ختمنا البحث بحكم الليبرالية في الإسلام وبيان الموقف الشرعي منها،

وهنا جاءت الشريعة الإسلامية الأصيلة لمعالجة هذا الداء العضال بطريقة موضوعية ونظرة نقدية واقعية، خاصة وأن الشريعة الإسلامية تنفرد بينابيع متدفقة لكل بحث تربوي ينهل منها ويحسن استغلالها ويجيد استنباط الفوائد منها إذا سلك طريق الدقة والأمانة وحسن التأمل والنظر والبعد عن الهوى والتجرد التام لما يفيده النص والربط بين النصوص الشرعية مع استخدام خطوات البحث العلمي المعروفة.

وفي ديننا الإسلامي كنوز تحتاج لمن يصدق معها ويحسن النية في التصدي لمهمة العناية بالجوانب الفكرية والمنهجية التي تحويها ليقدمها للعالم فيستفيد منها الجميع.

ويأمل الباحث حصول الفائدة من هذا البحث للباحث أولاً، ولكل من يقرأ البحث، والباحث يسأل الله التوفيق والسداد، ويختم بحثه بالصلاة والسلام على سيد الأنام محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم.

مراجع البحث

١. القرآن الكريم.

٢. الأخضر، العفيف (٢٠١٠ م): حوار بعنوان (إصلاح الإسلام: دراسته وتدريسه بعلوم الأديان). نشر في موقع الحوار المتمدن، بتاريخ ١٦ / ٧ / ٢٠١٠ م.

٣. الأخضر، العفيف (٢٠١١ م): مقال بعنوان: كيف تردون على تحديات المشروع الطالباني. منشور في موقع الحوار المتمدن بتاريخ ٢٠١١/٤/٦م.

٤. البيلاوي، حازم (٢٠٠٦ م): من أجل الإصلاح السياسي عن الديمقراطية الليبرالية قضايا ومشاكل. ط٢، دار الشروق، القاهرة.

٥. بكر، تامر طه (د.ت): قصة الإسلام الليبرالي. المركز العربي للدراسات الإنسانية. القاهرة.

٦. أبو الفتوح، خالد (١٤٢٢ هـ): جذور العلمانية والتغريب في العالم الإسلامي. مجلة البيان، العدد ١٦١، الحلقة الثالثة، محرم ١٤٢٢ هـ.

٧. الجابري، محمد عابد (١٩٩٤ م): فكر ابن خلدون: العصبية والدولة. ط٤، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

٨. الجميل، سيار (٢٠٠٤ م): مقال بعنوان (هل للعرب المعاصرين فلسفة وفلاسفة ؟ أم أنهم أنتجوا كلام اللواغيا ؟). نشر في موقع الحوار المتمدن، بتاريخ ٢٠٠٤/١/٢٠ م.

٩. الحمد، تركي (٢٠٠٤ م): من هنا يبدأ التغيير. دار الساقي، بيروت.

١٠. الحسن، إحسان محمد (٢٠٠٣ م): الحرية السياسية وأساليب المعارضة في الأنشطة اللاعنفية. مطبعة الرسائل، بغداد.

١١. الخراشي، سليمان بن صالح (١٤٢٩ هـ): حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها. السعودية.

١٢. ديوي، جون (د.ت): الحرية الثقافية. ترجمة أحمد أمين قنديل، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة.

١٣. ربيع، محمد (١٩٩٤ م ٩: الفكر السياسي الغربي، فلسفاته ومناهجه من أفلاطون إلى ماركس. جامعة الكويت، الكويت.

١٤. الربيعي، فاضل (٢٠٠٧ م): المواطنة في ظل التعددية. دار الفكر، دمشق.

١٥. الرميزان، وليد بن صالح (١٤٣٠ هـ): الليبرالية في السعودية والخليج دراسة وصفية ونقدية. دار روافد، بيروت.

١٦. الزنتالي، عبد الحميد الصيد (١٩٩٣ م): فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، الدار العربية للكتاب.

١٧. سباين، جورج (١٩٧١ م): تطور الفكر السياسي. ترجمة راشد البراوي، دار المعارف، مصر.

١٨.سلامة، رجاء (٢٠٠٤ م): مقال بعنوان: (أي ديمقراطية يريدها لنا الديمقراطيون الإسلاميون). نشر في الحوار المتمدن بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٢٥ م.

١٩.سلامة، رجاء (٢٠٠٥ م): كلمة ألقيت في مهرجان الشرق الأوسط لحقوق النساء بلندن ونشرت بعنوان (لم نعد في عصر الملة) في موقع الحوار المتمدن بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٢٣ م.

٢٠. السلمي، عبد الرحيم بن صمايل (١٤٣٠ هـ): حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها. جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٢١.عارف، نصر محمد (١٩٩٤ م): نظريات التنمية السياسية المعاصرة دراسة نقدية على ضوء المنظور الحضاري الإسلامي. ط ٢، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن.

٢٢.العبد العالي، عادل بن محمد (١٤٢٢ هـ): الشباب وحدود الحرية. مكتبة الجريسي، الرياض

٢٣.عبيدات، ذوقان (١٤٢٤ هـ): البحث العلمي. إشراقات للنشر والتوزيع، جدة.

٢٤.العروي، عبد الله (١٩٨٨ م): مفهوم الحرية. ط ٣، المركز الثقافي العربي، لبنان.

٢٥.الغذامي، عبد الله (٢٠١٣ م): الليبرالية الجديدة (أسئلة في الحرية والتفاوضية الثقافية). ط٢، المركز الثقافي العربي، بيروت.

٢٦.القايدي، أحمد بن عبد العزيز (١٤٣٣ هـ): الليبراليون الجدد. مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة.

٢٧.المحمود، محمد علي: المرأة بين الحضور والغياب.

٢٨.محمود، زكي نجيب (١٩٨٢ م): حياة الفكر في العالم الجديد. ط٢، دار الشروق، القاهرة.

٢٩.النابلسي، شاكر (٢٠٠١ م): الفكر العربي في القرن العشرين. المؤسسة الغربية للدراسات والنشر.

٣٠.النابلسي، شاكر (٢٠٠٤ م): مقال بعنوان (المثقفون والطغيان في المؤتمر الثالث للفكر العربي). نشر في موقع الحوار المتمدن بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/١٢ م.

٣١.النابلسي، شاكر (٢٠٠٥ م): الليبراليون الجدد جدل فكري. منشورات الجمل.

٣٢. النابلسي، شاكر (٢٠٠٦ م): مقال بعنوان (جدل الإصلاح وإقامة المجتمع المدني السعودي). نشر بصحيفة إيلاف الالكترونية بتاريخ: ٢٠٠٦/١١/٢٥م.

٣٣. النابلسي، شاكر (٢٠٠٧ م): سجون بلا قضبان يحدث في العالم العربي الآن. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٣٤. النابلسي، شاكر (٢٠٠٧ م): مقال بعنوان (لماذا الشقائق في منظمة الأقليات ؟). نشر في موقع الحوار المتمدن بتاريخ: ٢٠٠٧/٤/٥ م.

٣٥. النابلسي، شاكر (٢٠١٠ م): الليبرالية السعودية بين الوهم والحقيقة. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٣٦. النابلسي، شاكر (٢٠١٠ م): مقال بعنوان (ضيوف الرحمن.. هم ضيوف الحقيقة أيضاً). نشر في صحيفة الوطن السعودية بتاريخ: ٢٠١٠/١١/١٣ م.

٣٧. النابلسي، شاكر (٢٠١٠ م): مقال بعنوان (السعودية: من الإنتاج النفطي إلى الإنتاج الحضاري). منشور في صحيفة الوطن بتاريخ: ٢٠١٠/٤/٣ م.

٣٨. النابلسي، شاكر (٢٠١٠ م): مقال بعنوان (كيف يمكن تغيير المناهج الأهم). منشور في صحيفة الوطن بتاريخ: ٢٠١٠/٤/٢٤ م.

٣٩. النابلسي، شاكر (٢٠١٠ م): مقال بعنوان (الطريق الطويل والوعر إلى السينما). منشور في صحيفة الوطن بتاريخ: ٢٠١٠/٥/٨ م.

٤٠. النابلسي، شاكر (٢٠١٠ م): مقال بعنوان (الكتاب السعودي ينتظر الفرج من الهيئة). منشور في صحيفة الوطن بتاريخ: ٢٠١٠/٥/٢٢ م.

٤١. النابلسي، شاكر (٢٠١٠ م): مقال بعنوان (كارثة القطيعة العربية لمدنية العالم وحضارته). منشور في صحيفة الوطن بتاريخ: ٢٠١٠/٩/٢٥ م.

٤٢. النابلسي، شاكر (٢٠١١ م): مقال بعنوان (لماذا تخلو بعض الثورات من المفكرين والفلاسفة). نشر في موقع الحوار المتمدن بتاريخ ٢٠١١/٥/٤.

٤٣. النابلسي، شاكر (٢٠١١ م): الحداثة والليبرالية معاً على الطريق (السعودية أنموذجاً). المؤسسة العربية للدراسات والنشر.